# رحلة إلى الماضي ؛ ميلاد عالم حديث (القرن التاسع عشر) دراسة في المحتوى

**د. هاني عبد العزيز سالم**
**كلية الآداب- جامعة عين شمس**

# مقدمة

يأتي المقرر تحت عنوان : (( מסע אל העבר، עולם מודרני נולד، המאה ה -19، על פי תוכנית הלימודים החדשה בהיסטוריה לבית הספר הממלכתי. היסטוריה לכיתה ח' בבית הספר הממלכתי באישור משרד החינוך המרכז לטכנולוגיה חינוכית תל אביב 2003 " : رحلة إلى الماضى ميلاد عالم حديث ـ القرن التاسع عشر، وفقاً لمنهج التاريخ الجديد للمدارس الحكومية. التاريخ للصف الثامن من التعليم الأساسى لطلاب المدارس الحكومية، بتصديق وزارة التعليم، مركز تكنولوجيا التعليم، تل أبيب ٢٠٠٣م )) ؛ هذا ولم يقم على إعداد الكتاب شخص واحد فقط ؛ وإنما طاقم ترأسته ((كاتسيعه أبيالى طبيبيان : קציעה אביאלי- טביביאן )). وطاقم من المستشارين العلميين تكون من:

**دكتور/ رافي فاجو (ד"ר רפי ואגו)** ـ قسم التاريخ العام ـ جامعة تل أبيب.

**دكتور/أبيباه حلميش(ד"ר אביבה חלמיש)** ـ قسم التاريخ ـ الجامعة المفتوحة، المعهد الأكاديمى ـ نتانيا.

**دكتور/ ميرى شافير(ד"ר מירי שפר)** ـ قسم تاريخ الشرق الأوسط وأفريقيا ـ جامعة تل أبيب.

ولا شك والمقرر قائم عليه كل هؤلاء أن يتأكد لدينا للوهلة الأولى، أهمية هذا المقرر وأهمية جمهور المتلقين، كما يمكن أن يشعرنا ويدفعنا في آن واحد للاهتمام والتفكير بجدية في مقرراتنا والاهتمام بها وبجمهور المتلقين، خاصة إن كنا سنوجهه لصبية في مرحلة تشكيل الهوية، ولا ننسى كذلك أن نؤكد أنه مقرر تاريخ بمعنى أننا أمام مقرر يشكل هوية أمة يصنع ماضيها في قلوب وعقول حاضرها ومستقبلها، أي جمهور المتلقين ـ أطفال اليوم وشباب الغد وقادة المستقبل.

**أولاً: عرض الكتاب**

**الوحدة الأولى: "نحو العالم الجديد"**

**الفصل الأول: "بداية الليبرالية والقوميات في أوربا":**

يتناول الصراع حول تشكيل وجه أوربا، وكذا الثورات التحررية التى انتابت أوروبا في القرن التاسع عشر، ثم ينتقل بنا مؤلف الكتاب ليتناول الثورات التحررية وظهور القوميات في أوروبا وأسبابها، وأسباب الصدام بين التقدميين والمحافظين.

**الفصل الثاني: "الثورة الصناعية وبداية ظهور الحركات العمالية":**

يتناول الفصل حركة التصنيع في أوروبا وماهية الثورة الصناعية في نهاية القرن ١٨م، والتى انطلقت من بريطانيا، وأسباب النهضة الصناعية، ثم ينتقل لإبراز شكل المجتمع القديم وأثر التصنيع في انقسام المجتمع.

**استراحة المؤرخ: "الأطفال في الثورة الصناعية ـ رؤية أدبية"**: يتناول المؤلف حياة الأطفال أثناء الثورة الصناعية ـ من زاوية الأدب ـ

**الفصل الثالث: "العصر الحديث عصر الجماهير":**

يتناول الفصل التغيرات التى طرأت على حياة الفرد والمجتمع في أوربا، وينتقل بنا المؤلف إلى الأماكن الجديدة، وكيفية انخراط اليهود بها، ويشدد أن هذا الاندماج كان نتيجة ما ناله اليهود من حقوق.

**الوحدة الثانية: اليهود في عالم يتغير**

**الفصل الرابع: "اليهود في غرب أوروبا وشرقها: ثمن الحرية":**

يتناول الفصل التغيرات التى طرأت على وضع اليهود بعد الثورة الفرنسية في عدد من دول أوربا، وكذلك التحول في وضعهم نحو المساواة في حقوق المواطنة عام ١٨٤٧م، وكيف أثرت على حياة اليهود. كما يتناول التيارات المتطرفة داخل حركة الإصلاح وتوجهاتها الفكرية وتحولات العقيدة والعبادة ويتحول المؤلف لفكرة الترابط بين الطوائف اليهودية في الغرب، ويعطى نموذجاً لذلك بقضية **فرية الدم**، وما كان من نتائج ذلك نشأة منظمة **"كل اليهود أصدقاء"** في باريس من أجل للدفاع عن اليهود المضطهدين في أنحاء العالم.

**الفصل الخامس: "يهود روسيا: بحثاً عن الهوية":**

يهتم الفصل بسياسات الحكومات نحو إصلاح أوضاع اليهود، وكذلك حركة التنوير بين يهود روسيا ثم التحول من الإصلاح إلى القومية.

**الفصل السادس: "معاداة السامية في العصر الحديث":**

يناقش المؤلف أسباب معاداة السامية في العصر الحديث وملامحها في وسط وغرب أوربا، مركزاً على دور السلطات الروسية في إزكاء روح معاداة السامية. ويرتكن المؤلف في رؤيته لجذور معاداة السامية على النظرية الداروينية، وقد سبقت معاداة السامية الحديثة كراهية تقليدية لليهود غذتها الكنيسة المسيحية، حيث اندلعت في العصور الوسطى أحداث ضد اليهود كان على رأسها **"فرية الدم"**[1] التي اتهم فيها اليهود بقتل المسيحيين، هكذا ظهر اليهودي كتاجر يزداد ثراء من إدارة أعماله بالخداع والربا الظالم لجيرانه المسيحيين، ونمت معاداة السامية مع تطور الوعي القومي بين شعوب أوروبا ونمو الحركات القومية، ثم يتناول المؤلف الوسائل الحديثة لمعاداة السامية وأبرزها **الأحزاب السياسية** التي ظهرت في أوروبا، كذلك منها ظهور **صحف** تعمل في موضوعات معادية للسامية، كما نشرت **كتب** معادية للسامية كان منها كتاب **ادوارد دريمون "فرنسا الموحدة"** عام ١٨٨٦م، الذي نال اهتماماً كبيراً ووزِّع منه مائة ألف نسخة خلال شهرين تقريباً. كما كان من أشهر كتب معاداة السامية على الإطلاق كتاب **"بروتوكولات حكماء صهيون"**، هذا وقد لاقى اليهود الهجوم عبر **الرسوم الهزلية "الكاريكاتير"** الذي قدّم اليهود في صورة مشوهة مزيفة تثير الاشمئزاز، وفي **الفن أيضاً**؛ حيث عُرضت مسرحيات قدمت الشخصية اليهودية كشخصية بائسة تثير السخرية.

---

١ ) اتهام لليهود بأنهم يقتلون صبياً مسيحياً في عيد الفصح سخرية واستهزاء من صلب المسيح. ونظراً لأن عيد الفصح المسيحي واليهودي قريبان، فقد تطورت التهمة وأصبح الاعتقاد أن اليهود يستعملون دماء ضحيتهم في شعائرهم الدينية وفى أعيادهم؛ حيث أشيع أن خبز الفطير غير المختمر والذي يؤكل فيه يُعجن بهذه الدماء. للمزيد راجع، المسيرى (عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة، مج١ ، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣، ص ١٥٠.

ينتقل بنا المؤلف لقضية **دريفوس** وتجليات معاداة السامية في فرنسا، وسجن **"ألفريد دريفوس"** الضابط اليهودي في أركان الجيش الفرنسي والذي اُتهم بإفشاء أسرار عسكرية لألمانيا. وكذلك مشاركة السلطات الروسية في معاداة السامية فيما أطلق عليه الأدباء العبريون **"عواصف النقب[1]"** ، ويبدو أن سبب الاعتداءات هو اتهام اليهود بقتل قيصر روسيا، الذي وقع قبل الاعتداءات بشهرين، ورغم أن من قتل القيصر هم الثوار الروس؛ إلا أن اليهود اتُهموا بقتله. وقد أُصيب في هذه الأحداث أكثر من مائتين من الطوائف اليهودية، وفرَّ منهم عشرات الآلاف. كذلك ظهرت السياسات المعادية لليهود في **التشريعات**؛ حيث بدأ عصر جديد للسياسات المعادية لليهود، عصر حكومى رسمى، حينما أعلن وزير الداخلية الروسى في مايو ١٨٨٢م إصلاحات سميت **"اللائحة المؤقتة"** واستمر العمل بها ما يقارب خمس وثلاثون عاماً.

**استراحة المؤرخ: الرسوم الهزلية (الكاريكاتير) في خدمة السياسة**، حيث يهتم بدور الرسوم الهزلية في إزكاء روح التعصب ومعاداة السامية واضطهاد اليهود.

**الوحدة الثالثة: "عالم جديد قديم"**

**الفصل السابع: "سباق توسع الإمبراطوريات الكبرى في أسيا وأفريقيا":**

يتناول نتائج صدام هذه القوى غير المتكافئة في احتلال آسيا وأفريقيا.

**الفصل الثامن: "حوض البحر المتوسط ماضيه حاضره صراع وأزمة":**

وهو يناقش الدولة الإسلامية في صدامها مع الغرب، وانهيار الدولة العثمانية، ثم تحول اليهود من الحكم الإسلامى لحكم الغرب، كما يتناول يهود المغرب وأوضاع اليهود في حوض البحر المتوسط. ينتقل بنا المؤلف إلى مظاهر معاداة السامية هناك؛ حيث لم يمنع الوضع الجديد الأذى عن اليهود، بل ازداد بمرور الوقت، فعلى سبيل المثال نشر التجار الفرنسيون مشروب

---

١ ) وهى أعمال عنف ومذابح اندلعت في جنوب روسيا ضد اليهود في الفترة من ١٨٨١- ١٨٨٢م عقب اتهامهم بقتل القيصر الروسي ألكسندر الثاني. ولهذا سُمّيت بعواصف النقب حيث الجنوب. للمزيد راجع الموقع الالكتروني،

http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-22604-PreYaan,00.html

متاح حتى ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٢

أسموه **"ضد اليهودى"**، وكذا سجائر تحت مسمى **"ضد اليهودى"**، كما وُجِّهت حملة من الاضطهاد ضد اليهود في الأندية والمقاهى التى يرتادها اليهود أو لهم عضوية بها، وكذا ضد المصانع والمتاجر التى يعمل بها اليهود، حتى قام أصحاب المحال التجارية بوضع لافتات أمام الأبواب تقول **"لا يوجد يهود فى هذا المتجر"**، **"هذا المصنع كاثوليكى"**، كما تعالت شعارات مثل: **"اليهود تجرأوا على رفع الرأس ويجب إذلالهم"**، **"يجب أن نسقى شجرة الحرية بدماء اليهود "**، الأكثر من ذلك أن الحكومة الفرنسية لم تدافع عن اليهود".

**الفصل التاسع: "فلسطين الماضي والحاضر":**

يناقش الفصل المصالح المتضاربة في فلسطين وسمات الطائفة اليهودية القديمة بها. كما يتناول التحول بعد الاحتلال العثماني لفلسطين بعد خضوعها للمماليك عام ١٥١٧م. وكذلك حجم السكان بعد الفتح العثماني وأن جلَّهم من العرب المنظمين في عشائر كبرى. أما المواطنون اليهود فجلّهم من السفارديم الذين تمركزوا في المدن المقدسة الأربعة. ويتناول كذلك سمات الطائفة اليهودية وظروف حياتها في فلسطين، ونشأة المستوطنات الزراعية.

**استراحة المؤرخ:"سائحون فى الأرض المقدسة"**:يتناول المسافرين لفلسطين من غرب أوروبا وأمريكا في القرن التاسع عشر الميلادي.

**الوحدة الرابعة:"الصهيونية بين النظرية والتطبيق"**

**الفصل العاشر: "الهجرة الأولى ورواد الهجرات القومية":**

يناقش الفصل أسباب ظهور القومية اليهودية متمثلة في جماعة **"محبة صهيون"**[1] **"חיבת ציון"**، ثم ينتقل إلى الحديث عن مفكريها بادئاً بموشيه هس وكتابه **"روما والقدس"** وتأسيسه جمعية استيطان فلسطين **"החברה ליישוב א"י "**، ثم الربانى تسيفى كاليشر الذي دعا للهجرة لأرض إسرائيل[2] والعيش بها، ثم ينتقل المؤلف للحديث عن

---

١) وهى حركة يهودية قومية نشأت في روسيا بعد أحداث النقب عام ١٨٨١م، للعمل على عودة اليهود إلى فلسطين. للمزيد راجع الموقع الالكتروني، متاح حتى ٢٠١٢/١٠/٢٥

http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-13259-MTMyNTlfMjg2OTcxNjZfMTQ4Njg3MjAw-FreeYaan,00.html

٢ ) وهى فلسطين، أو أرض كنعان التاريخية، والتي يطلق عليها اليهود اسم أرض إسرائيل، فطبقاً لاعتقادهم تعتبر فلسطين هى الأرض التي عاش عليها أجدادهم، وظلت في انتظارهم خالية، تحلم بيوم عودتهم لها.

الحنين اليهودى لصهيون، مدعياً أن التحول للقومية لم يكن نتيجة للأحداث التى وقعت فى أوروبا فى القرن التاسع عشر الميلادى؛ وإنما نتيجة للحنين والشوق لصهيون الذى استمر لأجيال طويلة، وهو يرى أن البداية الحقيقية للصهيونية كحركة قومية كانت في ظهور جماعة "محبة صهيون"، وتأثير عواصف النقب، حيث نشر بنسكر عام ١٨٨٢ م كراسة بالألمانية تحت عنوان **"التحرر الذاتي"** دعوة لبنى شعبه من يهود روسيا، واعتمد في فكرته الرئيسة على فقرة من المشنا كتبها في بداية كراسته تقول: **"إن لم أهتم بنفسى فمَنْ سيهتم"**، ينتقل المؤلف لهجرة يهود اليمن نتيجة الحنين لصهيون وعوامل أخرى منها ما أشيع من أن روتشيلد يُقسّم الأراضى على اليهود. يختتم المؤلف هذا الفصل بالحديث عن إحياء اللغة العبرية.

**الفصل الحادي عشر: "الصهيونية السياسية بنيامين زئيف هرتسل":**

يناقش رؤية وجهود هرتسل السياسية، والصهيونية لتحقيق أهداف الحركة، وكذلك منظمات الحركة الصهيونية. يتناول المؤلف أهم المنظمات والأحزاب الاشتراكية اليهودية التى نشأت في كنف الصهيونية منذ عام ١٨٩٧م، والتى عملت من أجل الاستقلال الثقافي لليهود في الشتات عبر المزج بين القومية والاشتراكية. وبعض الحركات الصهيونية مثل **مزراحى**[١] **"המזרח"**، وكذلك **أجودات إسرائيل**[٢] **"אגודת ישראל"**.

**استراحة المؤرخ: رحلة لتتبع زيارة هرتسل لفلسطين ١٨٩٨م**. ويكتفى المؤلف بوضع عنوان موقع إلكتروني يطلب من التلاميذ الدخول إليه للمتابعة.

**الفصل الثاني عشر: "الهجرة الثانية استمرار وتغيير":**

يتناول الوحدة الإيديولوجية والاجتماعية للهجرة الثانية، ثم انتظام العمال في العمل وانتشار العبرية كلغة وثقافة، وكذا أحزاب عمال الهجرة الثانية مثل حزبي **العامل الصغير**

---

١ ) وهى مزيج من كلمتي مركز و روحي، وقد طرحت الحركة شعار أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة وتوراة إسرائيل، ولُخص الشعار في عبارة "תורה ועבודה"، ومعناها أنه على الصهيوني الحق المتدين أن يتعلم الشريعة. للمزيد راجع: المسيرى، المرجع السابق، مج٢ ص ١٥٠.

٢ ) حزب تأسس عام ١٩١٢ م كتنظيم ديني يضم الجماعات الدينية الأرثوذكسية في كل من ألمانيا وبولندا وليتوانيا ضد الحركة الصهيونية لمحاولة تغيير بنية ومضمون الحياة اليهودية. للمزيد راجع: المرجع السابق، ص ٢٩٩.

**"הפועל הצעיר"** في فلسطين ١٩٠٥م وحزب **عمال صهيون "פועלי ציון"** خارج فلسطين ١٩٠٦م، ونشأة منظمة **بر جيورا**[١] **"בר גיורא"** السرية .

**استراحة المؤرخ: نغنى لك يا وطن**. وهو عنوان مأخوذ من فقرة شعرية للشاعر المسرحى والمترجم يعقوب أورلاند. المهمة الرئيسة للاستراحة هى جمع الأشعار المحببة للأطفال والمتعلقة بالهجرة لفلسطين واستيطانها.

**الوحدة الخامسة: "العالم الحديث في أزمة"**

**الفصل الثالث عشر: "الحرب الكبرى ١٩١٤ـ١٩١٨م":**

يتناول أسباب الحرب العالمية ووقائعها ونتائجها.

**الفصل الرابع عشر: "الحركة الصهيونية واليهود في فلسطين زمن الحرب":**

يتناول الحرب وصعوبات الاستيطان واتساع العلاقات مع بريطانيا. ويرى أن المصالح البريطانية هى ما دفعتها لإصدار وعد بلفور.

**ثانياً: الأفكار والمفاهيم التي يطرحها المقرر:**

**١ ـ مدى ترحيب الجماعات اليهودية بالانعتاق:**

يقول المؤلف: "إن تطور الطب، الاهتمام بنوعية الغذاء، وسائل المواصلات، وطرق الوقاية الصحية، أدى بلا شك لازدياد مطرد في عدد السكان اليهود في أوربا؛ حيث وصل عدد اليهود في أوروبا في ثمانينيات القرن التاسع عشر إلى ثمانية ملايين يهودي. وقد أدى ازدياد عدد اليهود لازدياد ضائقتهم،" وهنا نستطيع أن نتساءل كيف ازدادت ضائقة اليهود،

---

١ ) منظمة عسكرية صهيونية أسسها كل من اسحق بن تسفي وإسرائيل شوحط في فلسطين عام ١٩٠٧ م، وكان شعارها "بالدم والنار سقطت يهودا" و"بالدم والنار ستقوم يهودا"، وقد استلهمت اسمها(عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة، مج٢، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣،من شمعون بر جيورا أحد المتطرفين من قادة التمرد اليهودي ضد الرومان عام ٧٠م، والذي انتهى بما يعرف في الذاكرة اليهودية بالانتحار اليهودي الجماعي، ودمار المعبد الثاني. للمزيد راجع، المسيرى (عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيرى جديد، ج٧، دار الشروق، القاهرة، ص ١٤٠.

ومن المفترض أن أعداد اليهود ازدادت نتيجة التطورات الإيجابية التى حلّت بأوربا، وما يؤكد ذلك ما يلى:

١) تمتع اليهود بما تمتع به الأوربيون، ومن ثم ازدادت أعدادهم.

٢) المعروف أن الأعداد تتزايد حينما يشعر الأفراد بالأمان على أنفسهم وأموالهم.

٣) إذا كان اليهود في ضائقة، فما الذي منعهم من الهجرة.

والمثير للتعجب أن هجرة اليهود، كما يقول، جاءت فقط نتيجة العوامل الطبيعية كالمجاعة في ايرلندا، وكان اليهود في ذلك مثلهم مثل الأوربيين. والغريب أيضاً أن المؤلف لا يذكر السبب وراء ازدياد تلك الضائقة في شرق أوروبا مكتفيا فقط بقوله: "أن ذلك كان في شرق أوروبا على وجه الخصوص. ففى روسيا على سبيل المثال لم يُسمح لليهود بالسكن إلا في مستوطنات خاصة بهم، وقُنِّنت أنشطتهم؛ مما أدى لضائقة اقتصادية"، ويبدو أن لذلك أسباباً، مما أدى لتغير الوضع بعد أن نال اليهود حق المواطنة، ومن ثم استطاعوا التحرك بحرية من مكان لآخر وانفتحت أمامهم سبل العيش"؛ حتى أن هذه الهجرات كانت ـ مثل الأوربيين ـ إلى مدن أوربية أخرى بعيدة عن المجاعة وما شابه ذلك. ليس هذا فحسب؛ بل إن اليهود انخرطوا في مناح الحياة المختلفة حيث حلّوا.

وقد كان لازدياد تيار الديمقراطية في أوربا، أن مُنحت كثير من الجاليات حق المشاركة في الانتخابات، حتى طالبت السيدات بحقوقهن، وبهذا الشكل نال اليهود حق المواطنة وأصبحوا مواطنين في إطار الانعتاق، فماذا يعنى ما يتحدث عنه المؤلف من ضائقة، وما هى أسبابها. تلك التى يغفلها المؤلف، مكتفياً بالحديث عن مجرد ضائقة، لإلهاب مشاعر الصبية الذين يوجه إليهم حديثه. لقد انخرط اليهود في المجتمعات الأوربية ونالوا حق المواطنة، بكل ما تعنيه الكلمة؛ فالتحقوا بمناح التعليم المختلفة، حتى الجامعة، ودخلوا لكل مناحى الحياة الاقتصادية، ولم تجد المجتمعات الأوربية غضاضة في الاقتراض منهم باعتبارهم مواطنين، وفتحت أمامهم كل سبل الحياة حتى تقلّدوا أرفع المناصب في أوربا، فكان منهم القاضي والأستاذ الجامعي ومستشارو الملوك.

يعود المؤلف للحديث عن أزمة اليهود في أوروبا فيقول:" لكن هذه المساواة كان لها ثمن فادح"، مما يدفعنا لنسأل، ماذا كانوا يريدون؟ هل المساواة أم العيش في إطار الأقليات؟ لقد رأى المؤلف الأزمة اليهودية من منطلق أن اندماجهم سيمنعهم حقوق الأقليات، ولكن السؤال هل حقوق الأقليات أهم وأفضل أم حقوق المجتمع ككل، بالفعل تنازل اليهود عن امتيازات الأقليات التى نالوها فيما سبق، فتنازلوا عن استقلالهم الطائفى، وكذا توقفت صلاحيات القضاء الطائفى، والتزم اليهود بالالتحاق بالجيش الفرنسى باعتبارهم مواطنين فرنسيين، لكن ذلك كان وضعاً طبيعياً في إطار تحولهم لمواطنين بعيداً عما ادعوه من اضطهاد ملأوا الدنيا صراخاً لبشاعته، لقد انتشرت المساواة في أوربا، فتحرر اليهود، وإن اختلف وضعهم من مكان لآخر حسب طبيعة الحكم، واكتملت عملية التحرر اليهودي في غرب ووسط أوروبا حينما قبل اليهود في اوشفيتس العتق أو التحرر عام ١٨٧٤م. ويبدو أن هذا كان الثمن الفادح الذي يرويه المؤلف للصبية.

وعن منعهم من ممارسة الحياة السياسية كحق الانتخاب والتصويت، يقول المؤلف:"إن القانون الانجليزي ألزم كل المرشحين لوظائف حكومية أن يقسم قسماً مسيحياً"، والحقيقة أنى لا أجد غضاضة في ذلك؛ فكون اليهود جماعة منعزلة، لا يمكنهم بطبيعة الحال أن ينالوا مكانة خاصة داخل الدولة، خاصة وأنهم منتشرون داخل دول أوروبا كافة، وهو ما يعنى أنه ربما تخشى دولة أن يشكل اليهود طابوراً خامساً؛ خاصة وأن ذلك ما حدث مثلاً أثناء الحرب العالمية الأولى؛ حيث ساند يهود الدولة العثمانية بريطانيا ضد الدولة التى يعيشون في كنفها، وساند يهود الجزائر الفرنسيين في الاستيلاء على الجزائر. أضف لذلك أن هذه الحدود زالت تدريجياً، ثم تغير الوضع عام ١٨٥٨م، وصّدق البرلمان على اقتراح يسمح لكل مجلس بأن يحدّد نص القسم. كما لا يمكن التغاضى عن دعوات الأوربيين لاستيعاب اليهود، ومنهم فيلهالم دوم الذي ناشد الحكومة منح اليهود حقوق المواطنة مدعياً أن ذلك سيجعل منهم أناس طبيعيين صالحين أكثر، وأن فائدتهم للدولة ستزيد، رأى دوم أنه ينبغى على الدولة فتح المجال أمام اليهود للانضمام لمناح الحياة الاقتصادية، زراعة، حرف، مهن، وعلوم، مما أثار

جدلاً واسعاً، وهذا ما يمكن أن يعطينا انطباعاً بأن أوروبا لم يكن لها مصلحة في عزل اليهود، بل على العكس كان من صالحهم استيعاب اليهود رغم المخاطر التى يمكن أن يشكلونها.

كذلك رأى المؤلف أن اليهود في فرنسا قد انسحبوا من التحرر في عهد نابليون حينما جدد النقاش حول وضع اليهود في مناطق حكمه القيصري، وكانت النتيجة أن فُرضت عليهم بعض الحدود عام ١٨٠٨م حينما صدر نابليون ما عُرف بـ**"المرسوم المشين[١]"**، ويبدو أن المؤلف تناسى ترحيب اليهود في فرنسا بالاندماج وبقرارات نابليون، كما يبدو أنه اعتاد أن يذكر السلبيات فقط ويركز عليها بغية إظهار اليهود مضطهدين مقهورين.

حقيقة كانت استجابة كثير من اليهود لهذا التحرر والاندماج تتأرجح بين القبول والرفض، لكن الاستجابة الرسمية لهذا الوضع الجديد لم تتأخر، لقد أتت في صورة مرسوم أصدره المجلس اليهودي الذي دعاه نابليون للانعقاد ١٨١٢م، والذي قّرر قبول التنازل عن الأفكار والمعتقدات السياسية التى نشأت عن العقيدة اليهودية منذ القدم، والتى وضعت أسس تتناسب والمجتمع اليهودي في فلسطين قديماً، عندما كانت إسرائيل مملكة لها ملوكها وكهنتها وقضاتها. وقد بعث المجتمعون بالرسالة التالية رداً على مطالب نابليون وأسئلته التى وجهها للمجلس اليهودي جاء فيها: "يعلن المجلس باسم كل الفرنسيين المعتقدين في دين

---

١ ) مراسيم أصدرها نابليون لتنظيم علاقة اليهودية بالدولة الفرنسية. ففي عام ١٨٠٨، أصدر مرسومين تم بمقتضى الأول إقامة نظام من المجالس الكنسية، وهي لجان من الحاخامات والرجال العاديين للإشراف على الشئون اليهودية تحت إشراف مجلس كنسي مركزي، وكان من مهام هذه المجالس أن ترعى معابد اليهود وغيرها من المؤسسات الدينية، وتنفذ قوانين التجنيد وتشجع اليهود على تغيير المهن التي يشتغلون بها. أما المرسوم الثاني، فقد اعترف باليهودية ديناً كما ألغى الديون اليهودية المستحقة للمرابين الإشكناز، وأُعفي السفارديم من ذلك المرسوم، وأصبح الحاخامات مندوبين للدولة مهمتهم تعليم أعضاء الجماعات اليهودية تعاليم دينهم وتلقينهم الولاء للدولة وأن الخدمة العسكرية واجب مقدَّس، ورغم أن الأدبيات اليهودية والصهيونية تطلق على هذه القرارات اسم (القرار المشين)، فإنه كان قراراً مرحلياً يهدف إلى تحديث اليهود، ولذا فإنه لم يُطبَّق على السفارديم. وقد نجح بالفعل في دمجهم بالمجتمع الفرنسي. للمزيد راجع، المرجع السابق، ج٤، ص 309- 310.

موسى، وهم يشعرون بأعمق أحاسيس العرفان والحب والاحترام بشخصه المقدس صاحب الجلالة الإمبراطورية الملكية، يعلن أنهم مصممون جميعاً على إثبات أنهم جديرون بهذه النعم التى يقصدهم بها جلالته، وذلك عن طريق الإذعان المدقق لمقاصده البابوية، وعن طريق إثبات أن دينهم سيجعل واجباً عليهم أن يحترموا قانون الملك على أنه القانون الأعلى في المسائل المدنية والسياسية، وأنه بالتالي إذا كان قانونهم الدينى أو تفاسيره مخالفة للقانون الفرنسى، فلتتوقف هذه الوصايا بالطبع، وبما أنه يجب عليهم قبل كل شئ الاعتراف بالملك وإطاعة قوانينه، فقد اعتبر اليهود في كل الأزمنة أنه من واجبهم طاعة قوانين الدولة، وأنهم منذ الثورة ككل الفرنسيين لم يعترفوا بأية قوانين أخرى"، ويعتبر هذا إعلاناً بالتنازل عن كل الأفكار التقليدية التى جعلت اليهود مجموعة متميزة من البشر، أو كدولة تعيش مستقلة داخل الدولة الفرنسية. وقد عبّر أحد أعضاء السنهدرين عن هذا بقوله: "نحن لم نعد نكوّن أمة داخل الأمة... فرنسا بلدنا. أيها اليهود هذا هو موقفكم اليوم، لقد تحددت التزاماتكم والسعادة في انتظاركم"، وقد تلقى اليهود أخبار الحريات المدنية الممنوحة لهم بترحيب شديد، يظهر هذا في الكلمة التى ألقاها بير اسحاق الذي مثّل اليهود أمام المجلس القومى الفرنسى حيث قال:"لقد عادت إلينا الحقوق التى سُلبت منا منذ ألف وثمانمائة عام .. فبنعمة الله وبفعل الشعب الفرنسى أصبحنا اليوم ليس فقط بنى آدميين، وليس فقط مواطنين ولكنا أصبحنا أيضا فرنسيين..... ففى السابع والعشرين من سبتمبر كنا الوحيدين في هذه المملكة العظيمة الذين، كما يبدو، كتب علينا أن نبقى إلى الأبد في قيود العبودية، ولكن في اليوم التالي ٢٨/ ٩/ ١٧٩١م نلنا حريتنا". وقد انتشرت بين يهود فرنسا موجة من روح الوطنية عبّر عنها أحد اليهود المعاصرين هو صمويل ليفى في أحد الصحف الباريسية بقوله:"فرنسا التى محت عنا عار يهوذا، هى أرض إسرائيل بالنسبة لنا، فالشعب الذي استعبد أكثر من أي شعب آخر سيصلى من أجل الشعب الذي كسر قيود عبوديته، سيصلى لفرنسا ملاذ المقهور[1] ".

١) حسن (محمد خليفة)، الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، دار المعارف ، ط١، القاهرة ١٩٨١م، ص ٣٣- ٣٥.

لقد منحت الثورة الفرنسية اليهود كل حقوق المواطنين وحاولت دمجهم في المجتمع عن طريق فتح المدارس لأبنائهم، وتشجيعهم على التخلى عن تميزهم داخل المجتمع، وقد استمر نابليون في نفس الاتجاه فأصدر لاحقاً عدة قرارات لتنظيم علاقة بين اليهود وفرنسا، ففى عام ١٨٠٨م أصدر مرسومين، تم بمقتضى **المرسوم الأول** إقامة لجان من الحاخامات وغير الحاخامات للإشراف على الشئون اليهودية تحت إشراف كنسى مركزي، وكان من مهام هذه المجالس أيضاً أن ترعى معابد اليهود وغيرها من المؤسسات الدينية، وتنفذ قوانين التجنيد وتشجع اليهود على تغيير المهن التى يشتغلون بها، أما **المرسوم الثانى**، فقد اعترف باليهودية ديناً، وألغى الديون المستحقة لليهود المرابين، وأصبح الحاخامات مندوبين للدولة مهمتهم تعليم أعضاء الجماعات اليهودية تعاليم دينهم وتلقينهم الولاء للدولة، وتعزيز الخدمة العسكرية كواجب مقدس. وكان على الحاخامات توجيه أعضاء الجماعات اليهودية إلى الوظائف النافعة. كما اعترفت الحكومة الفرنسية باليهود بوصفهم أقلية، وأصبح لهم كيان رسمى داخل الدولة، فحصلوا على حقوقهم ومُنحوا شرف الجندية، ولم يُسمح لهم بدفع بدل نقدي عن الجندية، وشُجعوا على العمل بالزراعة. وحرّم نابليون على اليهود الإشكناز ممارسة التجارة دون الحصول على إذن بذلك، ولم يكن الإذن يجدد إلا بعد التأكد من مدى إحساس التاجر اليهودي بالمسئولية الأخلاقية نحو المجتمع. كما طُلب من أعضاء الجماعات اليهودية أن يتخذوا دائماً أسماء على الطريقة الغربية. ورغم أن الأدبيات اليهودية والصهيونية تطلق على هذه القرارات اسم **"المرسوم المشين"**؛ إلا أنها أدت بالفعل إلى دمج اليهود في المجتمع الفرنسى، ثم صهرهم تماماً في النهاية، حتى أن فرنسا كان يُطلق عليها عبارة **"البلد الذى يأكل اليهود[1]"** ، هكذا كان وضع اليهود في فرنسا، لقد عملت الثورة على دمج الجماعة اليهودية باعتبارها جزءاً من المجتمع وليس دولة داخل الدولة، ومع ذلك تمتع اليهود بحقهم في إدارة شئونهم الداخلية ورعاية مؤسساتهم الدينية، دون العبث بها، هذه هى فرنسا وذلك كان موقف الثورة من اليهود.

---

١) المسيري (عبد الوهاب)، البروتوكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط ٣، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٣- ٢٤.

وفي ألمانيا ظهرت اليهودية الإصلاحية، وممثليها أفراهام جايجر وهولدهايم، كان جيجر من أكبر زعماء حركة الإصلاح، وقد أيد تطوير التراث الدينى اليهودي ليناسب متغيرات العصر؛ حيث اعتبر أن السمة الأساسية لليهودية أنها ليست نظاماً محدوداً من القوانين الواجب تطبيقها في حياة الفرد؛ وإنما يجب أن تسمو لتصبح نظاماً أخلاقياً عالمياً في اتجاهه وتطبيقه، وهذا نفسه يعتبر عند جيجر هدف الإصلاح الذي لابد وأن يحرر الحياة اليهودية من قيود التشريعات التى لا تلائم العصر، وبناء عليه يجب على حركة الإصلاح أن تنشر المثل العليا العصرية بين اليهود مع مراعاة تعديلها لتناسب التراث اليهودي، ولأن اليهودية ديانة متغيرة وقابلة للتطور فهى تستطيع تطوير مُثُل جديدة للإنسان اليهودي كبديل لهذا النظام من الوصايا والقوانين الذي لا يبدو كافياً لحل التناقض القائم بين ميوله الحديثة ومتطلبات دينه. وقد كان هذا تبريراً كافياً لجيجر وغيره من زعماء الإصلاح للتغييرات التى أحدثوها في الديانة اليهودية، وقد وضع جيجر كتاباً للصلاة حُذفت منه الإشارات إلى المسيح وصهيون، واستبدلها بصلاة لخلاص البشرية ككل، كما حاول التخلص من كل العناصر التى تجعل من اليهودية ديناً خاصاً كالعنصر القومى مثلاً[1].

كذلك يؤكد المؤلف على أن الألمان اعتبروا أن إخلاص اليهود إنما إخلاصهم فقط **"لوطنهم"** في فلسطين، ولذلك لا يمكن أن يكونوا مواطنين مخلصين لألمانيا. كذلك ادعى أن اليهود يستطيعون تكوين جزء من المجتمع فقط بعد أن يغيروا عقيدتهم "فطالما لم يتحرر اليهود من دينهم وقوميتهم الوهمية؛ فإنهم لن ينالوا المساواة وحقوق المواطنة، ولذلك اقترحوا طرد اليهود من ألمانيا". هكذا يؤكد أن فلسطين كانت في نظرهم ونظر الألمان الأغيار الوطن القومى التاريخى لليهود، ومع ذلك يشهد تاريخ الجماعات اليهودية في أوروبا أن اليهود نالوا التحرر واندمجوا في أوروبا ونالوا حق المواطنة وأصبحوا مواطنين كاملى الأهلية، وكان منهم القاضى والمحامى والأستاذ الجامعى... الخ، وذهب البعض حد التطرف في الاندماج حتى تناسوا العقيدة اليهودية أمثال هولدهايم؛ الذي دعا طائفته للإجازة يوم

١ ) المرجع السابق، ص ٣٨.

الأحد بدلاً من السبت، لأنه لا يمكن باعتبار جنسيتهم ألمانية أن يكون في ألمانيا يومان عطلة في الأسبوع.

الحال ذاته في روسيا حيث اتخذ المتنورون اليهود الروس من بيت الشعر الذي قاله "يهودا ليف جوردون[1]" (١٨٣٠-١٨٩٢) **" كُن انساناً خارج بيتك ويهودياً داخله"** شعاراً لهم، كما اعتقدوا أن تغير طبيعة التعليم سيؤدى لاندماج اليهود في حياة المدينة، وأصبح هذا البيت الشعري أيقونة التغيير بين يهود أوروبا.

وعودة للتأكيد على أن المؤلف يتجاهل أحداث وتواريخ بعينها نال فيها يهود أوروبا الحرية والمواطنة، وسعت فيها أوروبا لدمج اليهود، ومنحهم الحقوق وإعادتهم ثانية للحياة المجتمعية، كما لم يتذكر أو يُذّكر الصبية إلا بما أراد من تواريخ وأحداث يؤكد بها ما يريد أن يزرعه في نفوسهم وعقولهم من اضطهاد لليهود، بل إنه لم يكلّف نفسه عناء البحث حول أسباب وقوع هذه الأحداث، أو مجرد مناقشتها مناقشة موضوعية، واكتفى بأن يظهر الطائفة اليهودية في دور الضحية المهزومة، كما أنه لم يهتم في عرضه لهذا القرن بانزواء اليهود وتقوقعهم في المجتمع، أو تغلغلهم في كافة مناحى الحياة وأهمها الاقتصاد الذي سيطروا عليه.

يبدو أن تحسن أوضاع اليهود أغواهم للسعى لمزيد من التطلعات السياسية؛ فأبقوا على أسطورة الاضطهاد وصولاً إلى حشد الطاقات اليهودية في شتى أنحاء العالم لإنشاء كيان سياسى خاص بهم، وكانوا يتخذون من حادث فردى أو محلى أو إقليمى يقع على اليهود ذريعة لإثارة ضجة هادرة يتردد صداها خارج حدود الإقليم، لإثارة المشاعر بسبب الاضطهاد الذي يدعيه اليهود، وإشعال حماس الرأي العام اليهودي في مختلف البلدان، واعتبار هذا الاضطهاد أكبر مظهر للمسالة اليهودية، والحث على المطالبة بإيجاد حل لهذه

١ ) هو يهودا ليف أشير جوردن ولد في مدينة فيلنا عام ١٨٣٠م، نال تعلما دينياً، وكان من دعاة التنوير والخروج من أسوار الجيتو اليهودى والاندماج في المجتمع، ومن أهم أشعاره استيقظ يا شعبي. للمزيد راجع الموقع الالكترونى ـ متاح في يوم ٢٥ / ١٠/ ٢٠١٢

http://he.wikipedia.org/wiki/ יהודה לייב גורדון

المشكلة، مع الحرص على الإشارة إلى أن تحرير اليهود واندماجهم في المجتمعات التى يعيشون فيها ليس حلاً جذرياً للمسألة اليهودية[1] .

وبشأن **الصور والرسوم** التى يستخدمها المؤلف، فقد عمد لتقديم صور ورسوم تعبر عن اضطهاد اليهود رغم حرصهم على الاندماج. ولم يقدم لنا صوراً تؤكد حياة الاندماج أو التسامح الأوروبي تجاه اليهود مع انتشار قوانين الاندماج والحريات، كما لم يهتم بإظهار طباع اليهود في أوروبا أو المنحى الذي اتخذه اليهود في حياتهم كممثلين للرأسمالية المستفزة المستغلة للمواطنين. واكتفى بعرض صور ليهود بائسين يعمل بعضهم في بيع الخبز، ويعمل آخرون منهم في نقل وبيع المياه، كما أكد في صور كاريكاتيرية ساخرة على بعض مناح الاندماج، والتحول عن العقيدة اليهودية الخالصة من خلال دخول اليهود لهيئة القضاء أمثال جبرائيل رايسر في عام ١٨٦٠م، والسخرية من اختراقه جدار يؤدى به لهيئة القضاة بالمحكمة العليا بهامبورج.

وبالنسبة **للوثائق** يقدم لنا المؤلف عدداً من الوثائق؛ فيقدم وثيقة خاصة بتحول **افراهام مندلسون**[2] للمسيحية هو وزوجه وأبنائه الأربعة؛ حيث رأى أن ذلك هو الطريق الصحيح للمجتمع الألماني، والأفضل لأبناء أسرته، وهناك وثيقة ثانية تقدم جزءاً من قصيدة للشاعر اليهودي يهودا ليف جوردون "استيقظ يا شعبى"، تدعو اليهود للاندماج.

ويطرح المؤلف عدداً من **الأسئلة** كان أهمها:

---

١ ) الخولي (حسن صبري)، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، مج١، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣م، ص١٣.

٢ ) رائد حركة التنوير اليهودية. وُلد في دساو لأب فقير يعمل في كتابة مخطوطات التوراة. أُصيب بمرض في طفولته تسبَّب في تقوُّس عموده الفقري وأثر في جهازه العصبي. تلقَّى مندلسون تعليماً تقليدياً ثم سافر إلى برلين حيث درس الطب والفلسفة واللغات اليونانية واللاتينية والإنجليزية والفرنسية، وكان هذا أمراً غير عادي بالنسبة لأعضاء الجماعات اليهودية في أوربا آنذاك. اشتغل مندلسون مدرساً خصوصياً لأولاد صاحب مصنع حرير ألماني يهودي ثم عمل محاسباً عنده، واستوعبت الوظيفة كثيراً من وقته، ولكنها أتاحت له فرصة الإقامة في برلين كيهودي يتمتع بالحماية بسبب نفعه. وظل يعمل طيلة حياته تاجراً وتزوج من حفيدة يهودي البلاط صموئيل أوبنهايمر، للمزيد راجع، المسيرى (عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، مج٣، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٥٩- ٢٦٠.

- كيف حوّل الاندماج المجتمع اليهودي لمجتمع علماني؟
- ما هى وسائل كل من القيصر ألكسندر الأول ونيقولا الأول لتشجيع اليهود على التنصر؟

ويتضح من هذه الأسئلة رؤية المؤلف للتنوير والاندماج وما أدى إليه، طبقاً لوجهة نظره، من تحول المجتمع اليهودي المتدين لمجتمع علماني، يبتعد عن تعاليم دينه. كذلك يؤكد على أن القياصرة كانوا يشجعون على التنصر، وكأنه يرى أن التنوير والاندماج كان يساوى التنصر. وأخيراً يأتي سؤال عن اللغة العبرية وعلاقتها بالهوية القومية، وكأن العبرية والابتعاد عنها والتنوير يعنى الابتعاد عن الهوية القومية، متناسياً أن اليهود كانوا يتحدثون لغة مختلفة تماماً عن العبرية في دول العالم التى نشأوا وعاشوا بها.

أما أهم **الهوامش** التى قدمها المؤلف؛ فكان الهامش الخاص بتعريف الشعار الذي اتخذه الألمان عام ١٨١٩م أثناء محاولتهم العودة للنظام القديم قبل الثورة الفرنسية بعد انتهاء الحكم الفرنسى لألمانيا، ويأتينا المؤلف بهذا الهامش تحت عنوان عام هو **"تراجع أوضاع اليهود في ألمانيا"**، وهذا الشعار هو **"הפ הפ מוות ליהודים"** والتى تعنى **ירושליים אבודה** أي **"القدس ضاعت"**. ومن غير المفهوم استخدام الألمان لهذا الشعار، وما علاقتهم بالقدس؟ وما هو سبب إثارة موضوعها في هذا التوقيت؟ وبالأحرى ما علاقة يهود ألمانيا في عصر التنوير والاندماج بالقدس؟ والمعروف أن أحداث العنف كانت متعلقة باستغلال اليهود كرأسماليين لطبقات الشعب الروسى، فماذا يدفعهم لرفع هذا الشعار؟! الأصوب أن يطالب الألمان جماعة اليهود بالخروج للقدس للتخلص منهم؛ خاصة فقد افترض المؤلف قبلاً أن الألمان رأوا أن اليهود ليسوا مواطنين ألمان وأن وطنهم هو فلسطين وليس ألمانيا، فلماذا يناقض نفسه الآن!

**ط الحركة الصهيونيةط أسبابها ونتائجها :**

حاول الصهاينة وأنصارهم إرجاع الحركة الصهيونية بمفهومها السياسى إلى عصور تاريخية موغلة في القدم، ويذكرون أنها مرت بأدوار عديدة؛ فيقرر بعضهم أنها ترجع لما يعرف

بـ"السبى البابلى" عام ٥٨٦ ق.م. ويرى آخرون أنها ترجع لدمار الهيكل الثاني في عهد الرومان عام ٧٠م. ويرى فريق ثالث أنها ترجع للطرد من أسبانيا، والواقع أن الصهاينة قد اتخذوا من هذه الأحداث التاريخية نقاط ارتكاز للتضليل، وإظهار الحركة الصهيونية بمظهر الحركة القومية العريقة، عميقة الجذور، والبعيدة كل البعد عن أية علاقة بالاستعمار الأوربي الحديث، والحقيقة أن اليهود ظلوا عبر العصور يمنون أنفسهم بفلسطين، ولكن ذلك لم يخرج عن مجرد الأماني التى كانت تطفو ثم تعود وتخبو، وقنعوا فقط بالتغنى في الكتب الدينية بالعودة لصهيون، وكان المقيمون منهم في فلسطين منذ جاء الإسلام أقلية بالنسبة للسكان العرب، وقنع عجائزهم بالبكاء عند سور هيكل سليمان حتى أُطلق عليه حائط المبكى. ومما أضفى على الحركة الصهيونية نوعاً من القوة أن النصف الثاني من القرن ١٩م حفل بكثير من الحركات القومية التحررية بأوروبا، وعمل الصهاينة على إدماج حركتهم في إطار هذه الحركات، رغم أن الحركة الصهيونية كانت تهدف إلى الاستيلاء على فلسطين وإخلاء سكانها، أما الحركات القومية فكانت تهدف إلى إجلاء المستعمر الأجنبى والتحرر، وليس الاحتلال والاستيلاء على أراضى الغير[١].

وعن أسباب الحركة يورد المؤلف مجموعة من الأسباب يمكن تصنيفها لصنفين أساسيين هما أسباب **غير مباشرة** يمكن تقسيمها إلى أسباب **خارجية** تمثلت في الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوربا، وهو يرى أن الاضطهاد الذي تعرض له اليهود اتخذ عدة أشكال تمثلت في معاداة السامية المتمثلة في ظهور الأحزاب المسيحية الاشتراكية المعادية لليهود، والهجوم عبر الصحافة والرسوم الهزلية، وظهور الكتب المعادية لليهود وأهمها كتاب بروتوكولات حكماء صهيون كمؤلف مدسوس عليهم من الروس، كذلك قضية الضابط اليهودي في الجيش الفرنسى دريفوس، وأسباب أخرى **داخلية** تمثلت في الحنين لأرض الميعاد؛ ذلك الوطن القومى التاريخى لليهود حسب اعتقادهم، أما **السبب المباشر الحاسم**؛ فتمثل في عواصف النقب، تلك (المذابح) التي تعرض لها اليهود في روسيا نتيجة الاتهام بقتل قيصر

١ ) الخولي، ص ١٧ - ١٨.

روسيا، ولكن يبدو أن المؤلف كعادته يتناسى أو يغفل ذكر الأسباب أو حتى النظر للأحداث بنظرة تحليلية.

ولمحاولة مناقشة الأسباب **غير المباشرة (الخارجية)** للصهيونية، وأهمها **تصاعد الأحزاب المسيحية المعادية لليهود**؛ نجد أن ظهور هذه الأحزاب كان لمواجهة الرأسمالية المتمثلة في اليهود؛ وبناء عليه لم تأخذ هذه الأحزاب موقفاً معادياً من اليهودي؛ إلا لأنه رأسمالا يسيطر على الاقتصاد الأوربي، وهو في نهاية الأمر غريب يمتص دماء المواطنين. الغريب أن المؤلف يقول:"مع بزوغ الفكر الاشتراكى، انضم اليهود لصفوف الاشتراكيين؛ حيث رأى اليهود في الأفكار الاشتراكية التى دعت للمساواة في المجتمع وإلغاء الفوارق الطبقية بين بنى الإنسان، حلاً لمشكلة اليهود. وعلى الرغم من ذلك فقد عمل مفكرو الاشتراكية على دعم معاداة السامية؛ فاليهود الرأسماليين الأثرياء اصطدموا بالاشتراكيين؛ حيث أيقن الاشتراكيون الفارق بين اليهود هذه الفئة الرأسمالية المستغلة للجموع وبين اليهودية. في الوقت ذاته زعم كارل ماركس أن المال هو الإله الحقيقى لليهودية والرأسمالية؛ ومن ثم هوجم اليهود باعتبارهم ممثلى الرأسمالية"، أليس ذلك بغريب؟ يناقض المؤلف هنا ذاته، فكيف انضم اليهود لصفوف الاشتراكيين ويضطهدهم الاشتراكيون في أن واحد لأنهم رأسماليون يسيطرون على الاقتصاد العالمى!، إن الوضع الاقتصادي لليهود كان وضعاً يشجع على التعامل معهم بنوع من التنكيل؛ ذلك أن الملوك من ناحية والكنيسة من ناحية أخرى ومن ورائهما الإقطاع قد حرّموا على اليهود الزراعة، وضيقوا عليهم الخناق في التجارة والصناعة؛ إذ حرّموا على المسيحيين أن يخدموهم أو يتعاملوا معهم، فلم يعد أمامهم من مجال للكسب إلا في تجارة الذهب والمجوهرات والقيام بالإقراض بربا فاحش، وكل ذلك من شأنه أن يخلق أحقاداً وعداوات، وأن يعطى عن اليهود صورة قبيحة كتلك التى قدمها لنا شكسبير في تاجر البندقية. وليس عجيباً أن نجد في ظل ذلك حارة لليهود لها أحكام وقيود مخصوصة تنشأ في مدينة البندقية الإيطالية، على أمل الحد من جشع اليهود في الاستغلال الاقتصادي وممارسة الربا والسعي لتخريب حياة المسيحيين وتدميرهم بالابتزاز[1] .

١ ) ظاظا (حسن) وآخرون، الصهيونية العالمية وإسرائيل، القاهرة ١٩٧١، ص ٥٨ – ٥٩.

ولكن عن أي يهود يتحدث المؤلف؟ إن جلّ يهود روسيا لا ينحدرون من نسل يعقوب، وهو ما ينفى إدعاء الصهاينة من الأساس والقائلة بأن اليهود الروس حين هاجروا؛ إنما هاجروا لفلسطين، وعادوا لأرض آبائهم وأجدادهم. هذا، وقد عانى المجتمع الروسى من مواطنيه الذين يدينون بالدين اليهودي؛ ذلك أن اليهود الروس سلكوا سلوكاً أثار عليهم حذر باقى شرائح المجتمع الروسى، مما حدا بالحكومة الروسية إلى أن تلجأ إلى فرض قيود تحرّم عليهم كثيراً من الحقوق المدنية التى تمتع بها باقى المواطنين حماية للصالح العام. ولما لم توقف قرارات الحكومات الروسية المتعاقبة فساد اليهود الذي استشرى داخل المجتمع الروسى، قام الكسندر الأول بتهجير ما يقرب من ستين ألف أسرة يهودية من الريف إلى المدن في الفترة من ١٨٠٨ حتى ١٨١٠م، غير أن اليهود بعد تهجيرهم عمدوا لخلق تكتلات اجتماعية في المدن منفصلة عن المجتمع الروسى و لجأوا للعزلة، فعاد الصدام معهم[١].

ولمزيد من الاستيضاح والتفصيل وجدنا لزاماً علينا أن نستعرض أوضاع بعض الجماعات اليهودية في الشرق والغرب لنقف على حقيقة الأمر. بداية بألمانيا يقول المؤلف:" في البداية أسس القس **"أدولف شتيكر" "حزب العمال المسيحى الاشتراكى"** عام ١٨٧٨م كحزب معادٍ للسامية في ألمانيا، معلناً في برنامجه لجمهور الناخبين عن دعاية معادية للسامية. وأكد شتيكر أن اليهود هم أبناء شعب أجنبى يعيش بين الألمان ويستغل ألمانيا؛ وبذلك انتخب أدولف شتيكر نائباً في البرلمان الألماني عام ١٨٨١م"، لكن ما الغضاضة في ذلك؟ ألم يكن ذلك واقعاً ملموساً!، ألم يكن اليهود في ألمانيا يسيطرون على الحياة الاقتصادية، مستغلين الألمان أنفسهم،لكن كيف لا تستغل الصهيونية ذلك في الترويج لدعواها السامة. ولم يكتف المؤلف بذلك بل إنه تبنى فكرة اضطهاد اليهود في ألمانيا، وكأن اليهود في العالم يجب أن يسيطروا على أرزاق العباد، ومقدرات البلاد!

وفي الشرق حيث الجزائر نموذجاً، والتى خان اليهود فيها الجزائريين، وساندوا الفرنسيين سواء بالترجمة أو الإرشاد أو بالمعاونة، ينقلب الفرنسيون عليهم ويضطهدونهم،

---

١ ) سليم (محمد عبد الرءوف)، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ – ١٩١٨م، القسم الأول، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٤م، ص ٥٢- ٥٣.

والغريب أن المؤلف لم يذكر لماذا وقع هذا الاضطهاد بعد كل ما قدمه اليهود للفرنسيين هناك؛ بل اكتفى المؤلف بذكر أن الفرنسيين تحولوا وأداروا ظهورهم لليهود واضطهدوهم بدون سابق إنذار. ولفهم حقيقة وضع اليهود في الجزائر نورد بعض النقاط التى قد تبين الأسباب:

أ) **تمتع اليهود في الجزائر تحت الحكم الفرنسى بعديد من الامتيازات**، كحرية السكن بصرف النظر عن العقيدة والانتماء الطبقى، كما أولى الفرنسيون اليهود أهمية خاصة فمنحوهم حق الإدارة، وتعيين رئيس للطائفة اليهودية، كما تحملت الجزائر نفقات رجال الدين اليهود، وأعطت المجالس اليهودية حرية التصرف في تعيين الموظفين اليهود في الدوائر اليهودية، وشجعتهم على تعليم أبنائهم في المدارس العامة، كما سعت فرنسا لتجنيس اليهود بالجنسية الفرنسية؛ فالتحقوا بالجيش الفرنسى نتيجة لشبكة العلاقات المتداخلة بين اليهود والفرنسيين، والحقيقة أن ذلك ليس بمستغرب على اليهود في الجزائر، فقد مدُّوا يد العون للمستعمر، نجده بكل سهولة ويسر يندمج ويخدمه عسكرياً، فبدلاً من مقاومة الاحتلال باعتبارهم مواطنين جزائريين ينضم اليهود لصفوف الجيش الفرنسى، وهو ما يكشف لنا عن طبيعة الشخصية اليهودية في الجزائر والتى اهتمت بخدمة مصالحها فقط، دون النظر لأية اعتبارات أخرى.

ب) **تعاملت الثورة الجزائرية مع يهود الجزائر المعاملة نفسها التى تعاملت بها مع المواطنين ودعتهم للانضمام إلى الثورة الجزائرية**، كما أنها لم تمارس ضغطاً يذكر على يهود الجزائر لكسب تأييدهم لها، لقد أظهر يهود الجزائر عداءهم للعرب والثورة العربية في الجزائر من خلال قيامهم بالعديد من الهجمات ضد العرب، والأحياء العربية هناك، حتى قام الجزائريون بالانتقام منهم، فيظهر اليهود في الجزائر على أنهم مضطهدون؛ مما مهَّد الطريق للحركة الصهيونية لترويج دعاياتها بالاضطهاد ومعادة السامية، وحث اليهود على الهجرة لفلسطين.

ونتساءل ، أكان من المفروض أن يكون اليهود في الجزائر بهذا الشكل من الخيانة للدولة التي ضمتهم وحمتهم منذ العصر الروماني، والانحناء والخضوع والخنوع للمستعمر، والخداع

والبحث عن المصلحة، وتكون النتيجة أن يرحب بهم الجزائريون الذين قاموا بالثورة ضد المستعمر، ودعوا اليهود للانضمام لها؛ فما وجدوا منهم سوى الغدر والخيانة!!

وقد أبدى يهود المغرب أيما سعادة كبيرة بالغزو الفرنسى للمغرب، مما أثار سخط المغاربة عليهم، وقد جعل الفرنسيون منهم حلقة الوصل مع المغاربة، ونتيجة لهذه الروح وتلك الحريات؛ أصبحت ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية أفضل من باقى المغاربة، كما توسعت صلاحيات المجالس اليهودية، وازداد عدد اليهود الذين يتلقون تعليمهم في ظل الاحتلال الفرنسى، ويفترض المؤلف كذلك أن من الأسباب غير المباشرة **الهجوم عبر الصحافة ، والكتب والرسوم الهزلية** ، والحقيقة أن هذا كان رد فعل طبيعى على الانزواء اليهودي والطبيعة الحياتية التى اعتادوها وتميزوا بها في كثير من المناحى؛ خاصة حياتهم الاجتماعية داخل المجتمعات الأوربية، أما كتاب البروتوكولات؛ فالحقيقة أنه لازال حتى الآن مؤلف يدور حوله لخلاف في صحة نسبه لليهود[1] ، فيرى كثيرون أنه مدسوس عليهم، كما يرى آخرون أنه عمل يهودي أصيل، لكن الحقيقة التى لا تغرب شمسها أن هذا المؤلف نسب لليهود أو دُسَّ عليهم يتوافق مع المخططات الصهيونية عبر التاريخ. أما **دريفوس** الذي قال عنه المؤلف أنه اضُطهد وعُزل بدافع أنه يهودي، متناسياً قضايا خيانة أخرى؛ بل تناسى أن دريفوس نال محاكمة عادلة؛ وإلا لما بُرئ وعاد لرتبته، ألم يحاكم أمام قضاء أدانه بالأدلة، ثم عاد وبرّأه أيضا بالأدلة، وإذا افترضنا أنه اضُطهد وظُلم فلماذا بُرّئ ثانية، لقد نال دريفوس كافة حقوقه بعد الحكم ببراءته، لكن الغريب أن المؤلف لم يذكر حالات الخيانة أو التجسس الأخرى، كما لم يُشر لأسباب اتهام دريفوس أو أدلة إدانته أو براءته، هذا ولا يمكن التغاضى عن حقيقتين مهمتين ألا وهما: أن الحادثة وقعت في وقت أزمة قومية واقتصادية في فرنسا، والثاني أنه حُكم عليه حينما اتُهم، وبُرئ حينما قضت المحكمة بذلك وعاد لوظيفته فأخذ

---

١ ) يرى الدكتور عبد الوهاب المسيرى أن البروتوكولات ما هى إلا تلفيق وادعاء باطل، وأنها من عمل الأقلام الروسية، للمزيد حول هذا الموضوع، راجع: المسيرى، البروتوكولات واليهودية والصهيونية، ص ١٧- ٢٤.

القضاء مجراه، ولو كان الأمر متعلق باضطهاد لما بُرّئ ولما عاد لوظيفته في الجيش، كما أن هناك حالتان قبل دريفوس نشرا في الصحف أنه تم اتهامهما بإفشاء الأسرار العسكرية والتجسس ولم يُحدثا كل هذه الضجة، لكن السؤال الأهم هو؛ إذا كان دريفوس نموذجاً لليهود المضطهدين في أوروبا،ـ رغم كل ما أوردناه آنفاًـ فلماذا لم يقدم المؤلف إجابة عن طبيعة اليهود الذين كانوا يعملون في أرفع المناصب في أوربا، وكذلك التيارات اليهودية المتنورة في أوروبا والتى بدأت مع جوردن وغيره من دعاة التنوير، كذلك لم يذكر لنا كيف وصل دريفوس وأمثاله للجيش الفرنسى، وبالأحرى قيادة أركان الجيش الفرنسى، ذلك المكان الخطير جداً والذي يمسك بكل مفاصل الجيش بل وربما مفاصل فرنسا نفسها!

لقد ذهب زعماء الصهيونية إلى أن الروح المعادية لليهود لا تزال كامنة في نفوس الأوربيين، على الرغم من إلغاء القوانين المقيّدة لحرية اليهود ونشاطاتهم الاقتصادية، واستندوا إلى أن إلغاء هذه القوانين لم يمنع من اضطهاد اليهود، كما استغلوا في الفترة من ١٨١٥ حتى ١٨٣٠م ما ادعوه من اضطهاد لليهود، وكان من ذلك قضية الضابط اليهودي في الجيش الفرنسى دريفوس الذي اتُهم بتزويد الملحق العسكري في السفارة الألمانية في باريس بمعلومات سرّية عن القوات المسلحة الفرنسية، وعن خطط وزارة الحرب الفرنسية لغزو جزيرة مدغشقر، وكذلك أسلحة الميدان الثقيلة التى يستخدمها الجيش، وتشكيلاته الجديدة. وصدر حكم المحكمة بثبوت تهمة الخيانة العظمى عليه، خاصة وأن من الأدلة ما كانت المخابرات العسكرية الفرنسية قد وضعت يدها عليه من وثيقة كتبت بخط يده، كانت تحوى معلومات خطيرة كما أسلفت، وقد ركّزت أجهزة الدعاية الصهيونية نشاطها على هذه القضية وصورت الضابط بمظهر اليهودي البرئ، وأنه ضحية الاضطهاد والتعصب، وجعلت من هذه القضية الفردية قضية جماعية تمس أمن اليهود في أنحاء العالم كله، ومظهراً من مظاهر الاضطهاد والتعصب، واستمرت توالى القضية اهتمامها وتُصعّدها حتى خضعت الحكومة الفرنسية للضغط الصهيوني، وأمرت بإعادة الضابط من منفاه إلى فرنسا حتى أُعيدت محاكمته وصدر الحكم بعد عدة جولات بالبراءة وأُعيد للجيش ورُقّى ومُنح وسام الشرف، يبدو أن الأموال اليهودية الوفيرة استطاعت شراء القادة ليتحولوا عن مواقفهم، كما أن المحاكمة

الأخيرة كانت بعد ١٣ عام، وكان معظم الشهود في القضية قد توفوا[١] ، ويبدو أن المؤلف كعادته تناسى أن من بين اليهود من عارضوا الصهيونية، كما ظهرت بين اليهود اتجاهات كبيرة عارضت الحركة ولفظتها؛ فالمحاولة الصهيونية لاستلاب اليهودية عن طريق إعادة صياغتها على أسس عرقية، لاقت معارضة قوية من جانب كثير من المفكرين اليهود، فقد وصف الحاخام الاصلاحى يهودا ماجنس الصهيونية بعد تحوله عنها بأنها "**الصوت اليهودى الجديد**" الذي يتحدث من فوهة بندقية"، أما البروفيسور إسرائيل شاحاك، الأستاذ بالجامعة العبرية، فقد بيّن أن إضفاء صبغة مثالية يهودية على دولة إسرائيل الصهيونية أمر لا أخلاقى ومعاكس للتيار الرئيس للعقيدة اليهودية، ولابد أن يؤدى بإسرائيل إلى كارثة"، وقال شاحاك في كلمات، هى تقريبا صدى لكلمات ماجنس: "يبدو لى أن غالبية شعبى قد تركوا الرب، واستبدلوه بوثن وضعوه مكانه، وهو يُشبه بالضبط ما حدث عندما آمنوا بالعجل الذهبى في الصحراء". وكان اليهود المحافظون الذين لم يجرفهم التيار الصهيوني مثل **ناطورى كارتا**[٢] أول من رفعوا لواء مناهضة الفكرة الصهيونية، وبنوا معارضتهم للمبدأ القائل بتكريس جهود يهود العالم على اختلاف أهوائهم ومشاربهم وميولهم السياسية لإنشاء دولة يهودية قومية في فلسطين على أساس أن عودة اليهود لهذا الإقليم إنما هى فكرة دينية محضة لا تتخذ أية صفة سياسية أو قومية، وحسب تعاليم التلمود تكون العودة إلى القدس وإنشاء مملكة إسرائيل أمراً لن يتحقق إلا بعودة المسيح، واعتقدوا أن الرب سوف يبعث المسيح ليقود عملية العودة لفلسطين دون تدخل الإنسان، وتمشياً مع هذا الاعتقاد رأى اليهود المتدينين أن المبادئ الصهيونية تتعارض مع أحكام الديانة الموسوية ونصوص التوراة[٣].

أما السبب الداخلى ـــ كما يفترض المؤلف ـــ فهو **حنين اليهودي لأرض الميعاد ذلك الوطن القومى التاريخى لليهود**، والأسئلة الآن ما هى طبيعة العلاقة بين اليهود وأرض كنعان؟ ثم ما هو الحق التاريخي والوطن التاريخي لشعب إسرائيل؟ هل كانت أرض كنعان

---

١ ) الخولي، ص ٥٧: ٦٤.

٢ ) جماعة يهودية أرثوذكسية ترفض الاعتراف بالدولة الصهيونية.

٣) سليم، محمد عبد الرؤوف: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٩١٤ ـ ١٩١٨م)، ص ٢٥٤.

أرضاً الآباء التاريخية؟ هل كانت أرض بلا شعب لشعب بلا أرض؟ هل كانت ملكاً لبنى إسرائيل؟ ما هى طبيعة العلاقة بين الجماعة والأرض عبر العصور؟ أسئلة نجيب عنها فيما يأتي.

الحقيقة أن أرض كنعان لم تكن أبداً خاوية، وحتى حينما هاجر إليها العبرانيون كان يسكنها عدد من الشعوب السامية، يخبرنا بها العهد القديم ذاته، ومنها **الكنعانيون، العناقيون، العماليق، اليبوسيون، الحوبيون، الفرزيون، الجرجاشيون، الاموريون، كذلك سكنتها شعوب غير سامية مثل: الرفائيون، المديانيون، العمونيون، المؤابيون، الادوميون**[1]، لم تكن أرض كنعان أبداً خاوية تنتظر من يسكنها، وحتى بعد هجرة ابراهيم وسكن العبرانيون لها، لم يكونوا منفردين، والمتتبع لتاريخ أرض كنعان بدقة، وعلاقتها بالعبرانيين وما قدمه العهد القديم في هذا الشأن يجد أن التوراة تبدأ بحقيقة مهمة جداً صادق عليها المؤرخون؛ ألا وهى أن فلسطين وطن الكنعانيين، ولذا فإن تاريخ فلسطين تاريخاً عربياً بفضل الهجرات العربية المتوالية للمنطقة السورية من قلب شبة الجزيرة العربية، والتى ساهمت في تكوين البنية السكانية الأساسية للمنطقة السورية، ومن ذلك شعوب بلاد الرافدين حيث أدت الهجرات لتغيير البنية السكانية هناك، وتحويل سكانها من هندوأوربيين لعرب ساميين، وقيام أول دولة عربية سامية هناك وهى دولة أكد، كما امتد تأثير الهجرات العربية من شبه الجزيرة لمناطق أخرى من بينها مصر القديمة.

إن أقدم ذكر للفلسطينيين في التوراة ورد في سفر التكوين (١٠/ ١٣ ــ ١٤) في ذكر مواليد حام بن نوح حيث يذكر "الفلشتيم" على أنهم من مواليد مصرايم بن حام بن نوح. ويتضح من ذلك التصنيف للأجناس أنه يُخرج الفلسطينيين من دائرة العرب الساميين، رغم أن الأرض المنسوبة إليهم تقع في فلسطين، ثم يذكر هذا الاسم في زمن اسحق؛ حيث يذكر أن اسحق اتجه إلى أبيماليك ملك الفلسطينيين؛ حيث أمره الرب بالتغرب في أرض فلسطين، كما

١) القثامي، هند بنت دخيل الله بن وصل، اثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ه، ص ١٠٠ ــ ١١٥م.

تنص التوراة في سفر التكوين (٢٨/ ٤) على أن يعقوب عليه السلام سكن في أرض غربة أبيه في أرض كنعان، وذلك قبل أحداث الخروج، هكذا كانت أرض كنعان (فلسطين) بنص التوراة، أرض غربة إبراهيم واسحق ويعقوب، وقد استمر هذا الوضع حتى خرج يعقوب بجماعته إلى مصر، وبذلك لم يكن هناك وجود حقيقى لهم في فلسطين قبل خروج يعقوب لمصر، كما ينص العهد مع موسى على إعطاء بنى إسرائيل أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا فيها.

كما يرد ذكر الفلسطينيين مرة أخرى عندما خرج موسى بجماعة بنى إسرائيل من مصر. ففى اختيار طريق الخروج يذكر سفر الخروج (١٣/ ٧) :"أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً فيرجعوا على مصر"، وبعد دخول أرض كنعان يؤكد الإصحاح الأول من سفر القضاة على اندماج بنو إسرائيل في الجماعات التى أقاموا بينها واختلطوا بهم وعبدوا معبوداتهم وتزوجوا بناتهم، كما توزعت القبائل الإسرائيلية بين الكنعانيين وغيرهم من الأقوام، مما أدى لعبادة معبوداتهم.

وتعطينا التوراة أدلة قوية على الوجود المبكر للفلسطينيين، إذ يرد ذكرهم مرتبطاً بحروب يشوع بن نون، فبعد ذكر حروب يشوع ضد الكنعانيين والعموريين .....الخ، يذكر سفر يشوع (١٣/ ٢) أنه لم يبق سوى أرض الفلسطينيين.

ويروى سفر(القضاة ص٤) سيطرة الفلسطينيين على بنى إسرائيل، وبعض علاقاتهم الاجتماعية بهم، ومنها زواج شمشون من تمنة الفلسطينية، ثم تسلُّط الفلسطينيون على بنى إسرائيل، ويؤكد سفر صموئيل الأول (ص١٧) نفس الأمر؛ حيث مواصلة الفلسطينيين حربهم ضد بنى إسرائيل في عهد شاؤول، ثم تحدث المبارزة الشهيرة بين جليات وداود، ثم يؤكد سفر صموئيل الأول (ص٢٧/ ١) على لجوء داود للفلسطينيين هرباً من مؤامرات شاؤول عليه لاغتياله يقول الإصحاح:" وَقَالَ دَاوُدُ فِي قَلْبِهِ: إِنِّي سَأَهْلِكُ يَوْمًا بِيَدِ شَاوُلَ، فَلاَ شَيْءَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَنْ أُفْلِتَ إِلَى أَرْض الْفِلِسْطِينِيِّينَ، فَيَيْأَسُ شَاوُلُ مِنِّى فَلاَ يُفَتِّشُ عَلَيَّ بَعْدُ فِي جَمِيع تُخُوم إِسْرَائِيلَ، فَأَنْجُو مِنْ يَدِهِ"، ثم يشير سفر صموئيل الأول (إصحاح ٢٨) إلى شروع الفلسطينيون في حرب جديدة ضد بني إسرائيل بعد أن يصبح داود ملكاً، أما في فترة

الانقسام فإن العهد القديم ينشغل برواية قصة الصراع بين المملكتين، إلا أن الفلسطينيين يعودون للظهور ثانية في عصر أحاز ملك يهوذا؛ حيث اقتحم الفلسطينيون المدن الساحلية وسكنوها.

هكذا يشير العهد القديم كمصدر رئيس لتاريخ أرض كنعان للوجود الفلسطينى القوى، وهو ما يحاول المؤرخون الصهاينة إهماله والتستر عليه في التاريخ الحديث، وربما كان لجوء داود للفلسطينيين هرباً من مطاردة شاؤول أكبر دليل على مكانة الفلسطينيين ودورهم السياسى في النزاعات الإسرائيلية. الأكثر من ذلك أن أرض كنعان لم تمتنع على العبرانيين وبنى إسرائيل ثم اليهود؛ إلا أنهم كانوا دائماً أبدا يتركونها للبحث عن أماكن أخرى أفضل، بداية من إبراهيم مروراً بإسحق فيعقوب الذي عاش بمصر برفقة يوسف، ثم موسى ربيب القصر الفرعوني المصري، ولم يعد اليهود لأرض كنعان إلا مع يشوع بن نون عبر الزنا والتجسس، كما أكد سفر يشوع ذاته (ص٢)، وفي عصر بالقضاة عرف بنو إسرائيل شعوباً كانت تسكن أرض كنعان وتتسلط عليهم كالفلسطينيين الذين أذلوا بنى إسرائيل في عهد شمشون.

وفي العصر اليوناني والروماني عرف العالم مراكز انتشار اليهود خارج فلسطين، كان من أبرزها وأكبرها في مصر، وبابل، وسوريا، وروما، وأثينا، ثم خرج اليهود تماماً بعد دمار الهيكل الثاني، وكان خروجاً نهائياً، ولم يعد لفلسطين وجود إلا في أحلامهم وأمانيهم حينما يهنون بعضهم البعض في الأعياد **"العام القادم فى أورشليم"**.

وبالإضافة إلى قوة الوجود الفلسطينى الذي يشهد عليه العهد القديم كمصدر للتاريخ الفلسطينى، هناك عدة شهادات تاريخية على تعاظم الوجود السياسى للفلسطينيين قديماً، وعلى وجودهم القوى والمستمر في فلسطين، واعتبار غيرهم من الجماعات التى عاشت في فلسطين عنصراً وافداً، ومن هذه الأدلة أن فلسطين اتخذت اسمها الذي عرفت به في التاريخ من الفلسطينيين، وكل المسميات الأخرى التى أطلقت على منطقة فلسطين ليست أصيلة مثل أرض إسرائيل وأرض كنعان وهى تسميات توراتية يهودية للمكان، والغريب أن المؤرخين اليهود يعتبرون تسمية فلسطين تسمية رومانية فرضها الرومان لصرف الأنظار عن التسميات

اليهودية للمنطقة، وذلك على الرغم من أن العهد القديم هو الذي استخدم عبارة أرض الفلسطينيين، وهو الثابت من العرض السابق، قبل استخدام الرومان للتسمية بمئات السنين، فالبلد سمي بفلسطين نسبة لأصحابه الأصليين الفلسطينيين وبشهادة العهد القديم نفسه.

دليل آخر ومهم على عدم وجود صلة أو علاقة بين فلسطين والجماعات اليهودية، هو ما شهدته فترة الفتح الإسلامي لفلسطين؛ حيث لم يجد أمير المؤمنين عمر معبداً أو هيكلاً يهودياً؛ وإلا لأمر بالإبقاء عليه وصيانته ورعايته، والمحافظة على نقوشه ومحتوياته، مثلما أمر بالمحافظة على كنائس المسيحيين ومزاراتهم، وما فيها من صور وصلبان وتماثيل. بعبارة أخرى؛ لو كان في القدس، وقت الفتح الإسلامي، معابد أو هياكل أو آثار يهودية، لما كان هناك ما يدعو بعض جنرالات إسرائيل، أمثال **"يجآل يادين**[1]**"** وغيره ممن تحولوا إلى علماء آثار ينقبون في القدس وما حولها عن تاريخ يهودي قديم، دون أن نسمع أنهم وجدوا شيئاً يستحق الذكر والثقة، وما من أحد من المؤرخين، بمن فيهم يوسيفوس الذي كتب كتابه الشهير **"تاريخ القدس"** ذكر أن المسلمين هدموا معبداً يهودياً أو طمسوا أثراً يهودياً، أو استولوا على معبد يهودي عندما فتحوها، وأن القدس لم تكن مدينة يهودية آنذاك؛ وإنما كان أهلها عرب من نسل كنعان، وكانوا يتكلمون العربية ويدينون بالمسيحية، بالإضافة لأقلية يهودية مكروهة من المسيحيين والحكام الرومان على السواء[2].

هذا، ويذكر المؤلف ذاته أن حجم السكان بعد الاحتلال العثماني كان خمس وعشرون ألف نسمة معظمهم من العرب منظمون في عشائر كبرى، كما يؤكد أن الطائفة اليهودية في

---

١) يجآل يادين (١٩١٧- ١٩٨٤م)، عالم آثار إسرائيلي معروف، تدرج في الجيش الإسرائيلي حتى عمل رئيساً لهيئة أركانه حتى عام ١٩٥٠م، ثم تفرغ للعمل الأثري بحثاً عن تاريخ لليهود في فلسطين. للمزيد راجع الموقع الالكتروني المتاح في يوم ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٢

http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-13950-MTM5NTBfMzY2NTM3NjZfMTQ4Njg3MjAw-FreeYaan,00.html

٢) الكاتب (عبد الحميد)، القدس ـ الفتح الإسلامي، الغزو الصليبي، الهجمة الصهيونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٨م، ص ١٥٥، ١٦٠.

فلسطين استجابت لعمليات التبشير المسيحية في فلسطين، من خلال دعم التعليم ومساعدة المسيحيين عبر المدارس والمستشفيات ودور الأيتام، وأن الربانيين حينما شعروا بخطورة نشاطات هذه المؤسسات على اليهود أصدروا فتوه تحرم على اليهود الذهاب إلي هذه الدور بأية صورة، كما أفتوا بأن من يموت في عيادات التبشير لا يدفن في مقابر اليهود، مما ردع اليهود بشكل مؤقت لكنهم عادوا لارتياد المؤسسات التبشيرية تحت ضغط الحاجة، ومع ذلك لم يتنصر سوى عدد قليل، أي أن بعض اليهود ممن أقاموا في فلسطين لم يجدوا حرجاً من التنصر لنيل امتيازات ومنافع خاصة، دون النظر لخصوصية الديانة اليهودية. هكذا شهد العهد القديم على السيادة الفلسطينية على بنى إسرائيل إلى الحد الذي يعتبر فيه الفلسطينيون المحور الرئيس لتاريخ المنطقة، وبخاصة في الفترة من الخروج من مصر وحتى قيام مملكة داود وسليمان عليهما السلام ثم الانقسام، وهى الفترات التى شهدت تواجداً فعلياً لهم في أرض كنعان.

هذا هو الحنين لصهيون الذي يحدثنا عنه المؤلف! والذي يشير لبزوغ جذور الحركة القومية في روسيا، وكأن ذلك الحنين كان مقدراً له أن يظل في القلوب ملء الحناجر والأسماع فقط، ولا يمكن تطبيقه رغم أن أرض فلسطين كانت دائماً أبداً مفتوحة أمامهم، ولم يدفع ذلك الحنين الغالبية منهم للتفكير في السفر إليها ولو لمجرد الزيارة.

الأهم من ذلك أن رد فعل اليهود كان متمثلاً في هجرة أسر بكاملها اختارت ترك روسيا بين أعوام ١٨٨٢-١٩١٤م لأمريكا؛ حيث هاجر منها مليونا يهودي ونصف، رغم هذا الحنين للوطن القومى، كما فضّل البعض الهجرة لإسرائيل أثناء الهجرة الأولى عام ١٨٨٢ م أو في الثانية عام ١٩٠٣ م.

أما السبب المباشر للحركة الصهيونية، طبقاً لوجهة نظر المؤلف، فهو **عواصف النقب**؛ حيث تعرض اليهود لأعمال عنف نتيجة تورطهم في قتل قيصر روسيا، تلك الحادثة التى ينفيها اليهود، وترجع تلك الأحداث إلى اتهام اليهود باغتيال القيصر ألكسندر الثاني في عام ١٨٨١م، وقد اتهم ابنه القيصر ألكسندر الثالث اليهود باغتيال والده، وبدأ بتحريض الجماهير

المسحوقة اقتصاديا ضد اليهود، أضف لذلك اتهام الجماهير الروسية اليهود بأنهم المسئولين عن الوضع السياسى والاجتماعى والاقتصادي المهين الذي وصل إليه الشعب الروسى، ولدينا استفسار مهم يتعلق بحديث المؤلف الذي يذكر فيه أن عواصف النقب ١٨٨١م أدت لظهور منظمات قومية سرية في شرق أوروبا مثل "محبة صهيون" وغيرها، والسؤال هل كانت هذه المنظمات اليهودية هى الوحيدة التى مارست العمل السري؟ هل كانت هذه المنظمات هى التنظيم الأول الذي عمل ضد الدول التى احتضنت اليهود وآوتهم؟! وهل كان من الطبيعى أن يرحب الروس باليهود بعد كل ما تسببوا فيه من أذى للجماهير الروسية؟ سواء كان أذى مادى من خلال المعاناة من الفقر والتمييز عن الجماهير الروسية، أو أذى معنوي بمقتل القيصر، أو تسببهم فيما وصلوا إليه من انكسار وانسحاق اقتصادي؛ فإذا كان مقتل القيصر هو القشة التى قسمت ظهر البعير، فاعتقد أن الروس كانوا محقين في هذه اللحظة فيما فعلوه دفاعاً عن أرضهم وحياتهم ومستقبلهم ومستقبل أبنائهم.

يقدم المؤلف عدداً من **الصور** الخاصة بأسباب الحركة الصهيونية، وأهمها صور للاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوروبا، بكافة أشكاله التى قدمها في ثنايا الفصل؛ فيقدم لنا على سبيل المثال صورة ليهودى من النمسا يركب سيارة ممثلاً للرأسمالية المستغلة متفاخراً متباهياً بذاته وخلفه امرأة تمسك بمظلة، وبعد تدقيق النظر وجدناه يستبدل موتور السيارة بشخصين من الدهماء يقومان بمهمة الموتور، وآخرون يقفون على جانب الطريق في تحية هذا اليهودي، صورة أخرى لغلاف كتاب البروتوكولات في ترجماته المختلفة، تأتى النسخة البولندية بغلاف يمثل شخص يهودي في هيئة قبيحة يجلس فوق عدد كبير من الجماجم البشرية تعلو رأسه نجمة داود، وتأتى النسخة اليونانية بصورة أخرى دميمة ليهودي يسيطر على العالم وأمامه نجمة داود، صورة رابعة لدريفوس في مراسم كسر سيفه وعزله من الخدمة على خلفية إدانته بالخيانة العظمى، ثم عدد من الرسوم الهزلية التى تعكس السخرية من اليهود فيما يسميه المؤلف بالاضطهاد عبر الرسوم المسيئة، ويبدو أن المؤلف من أنصار الفكرة الصهيونية، وهو ما ينعكس في وفرة الصور والرسوم في هذا الشأن، كما يبدو أنه لا يحاول

إجهاد ذاته في اكتشاف الحقيقة أو البحث عنها، مكتفياً فقط بأن يبث في عقول الصبية أن اليهود عانوا طويلاً من الاضطهاد حتى أصبح لهم وطن آمن يعيشون فيه ويتنفسون عبير الحرية، وكأن العالم الأوروبي لم يشهد في هذه الفترة أي موقف أو حدث إيجابي تجاه اليهود.

يعرض المؤلف كذلك عدداً من **الوثائق** أتت في مجملها تتحدث عن معاداة السامية والاضطهاد كسبب رئيسي ومباشر في تصاعد الدعوى الصهيونية؛ فإلى جانب وثيقة تصور جزء من خطاب دريفوس لزوجته لوسى يروى لها عن يوم طرده من الخدمة في الخامس من يناير ١٨٩٥م، ووثيقة أخرى لـ**"إميل زولا"** تحت عنوان **"أنا أتهم"**، والتى يتهم فيها قادة بالجيش الفرنسى بالضلوع في قضية دريفوس، هناك عدد آخر من الوثائق المتعلقة بمذابح روسيا، وأقوال مأثورة لمن عُرفوا بمبشري الصهيونية، كما يقدم المؤلف العديد والعديد من الوثائق في ذات الموضوع، وذلك لما تعكسه الوثيقة من مصداقية وإضفاء روح الثقة في وقوع الاضطهاد، وبناءً عليه يجب أن يدرك الصبية بهذا الشكل كم تعرض أجدادهم لاضطهاد شديد أدى في النهاية لظهور الصهيونية.

قدم المؤلف عدداً كبيراً من **الأسئلة**، كان من أهمها:

- وضَّح كيف استغلت معاداة السامية الديمقراطية لتحقيق أهدافها؟
- فسِّر الادعاء التالي" قضية دريفوس خلقت في المجتمع الفرنسى مواجهة بين اليسار واليمين، وأعلت من مسألة حقوق الإنسان والمواطن، وكذا وضع اليهود في الدولة"، صِف الحقائق المؤسسة لهذا الزعم؟

يتضح من الأسئلة الخط العام الذي ينتهجه المؤلف؛ ألا وهو أن اليهود كانوا مضطهدين في أرجاء أوربا، متغاضياً عما كان يشكله اليهود من مخاطر على المجتمعات الأوربية في ذلك القرن، وما أثاروه من مشكلات دفعت المجتمع لمثل هذه الاتجاهات المعادية لهم.

وعن **استراحة** المؤرخ يقدم لنا المؤلف موضوعاً مثيراً وهو الاضطهاد عبر الرسوم المسيئة لليهود تحت عنوان **"الرسوم الهزلية في خدمة السياسة"**؛ حيث يرى المؤلف أن السياسة استخدمت الرسوم لاضطهاد اليهود، فيقدم لنا عدداً كبيراً من الصور والرسوم الهزلية المسيئة

لليهود؛ فمن صورة لتطور حياة أوزة لتصبح في النهاية يهودياً، وكذا صورة أخرى لجماعة من اليهود يرتدون البزة الرسمية للجيش النمساوي ويرفعون علماً كُتب عليه **"أرباح اقتصادية ـ وسيطرة على المسيحيين"**، وثالثة لنظرية داروين التى ترى أن الإنسان في الأصل كان قرداً، يبدو أن المؤلف كعادته يحاول أن يبرز الصورة السلبية التى رأتها المجتمعات الأوروبية لليهودي دون أن يذكر الأسباب التى كونت هذه الصورة لديهم، كما أنه لا يحاول أن يبرز الجانب الآخر للصورة.

وأخيراً **الهوامش**؛ حيث يقدم لنا المؤلف عدداً من الهوامش أبرزها هوامش عن عواصف النقب، ورموز الصهيونية أمثال موشيه هس ويهودا القلعى، ويبدو أنه تناسى الأصوات والتيارات المعارضة للصهيونية، لكنه بطبيعة الحال في سبيله لإقناع الصبية لم يثنه عن تحقيق هذا الهدف أي شئ، المهم أن يصل لعقول وألباب الصبية بما يريد.

**ج) جهود الحركة الصهيونية :**

كان لابد للحركة الصهيونية أن تبحث عن ستار تخفى وراءه أطماعها، وقد وجدت ضالتها في المشكلة اليهودية؛ فادعى الزعماء الصهاينة أن حركتهم إنما قامت لحل هذه المشكلة، وإنقاذ اليهود من الاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له. غير أن هؤلاء الزعماء لم يلجأوا إلى محاربة اضطهاد اليهود بالعمل على نشر الدعوة إلى التسامح بين الأديان، وتوجيه اليهود بالعمل على نشر الدعوة للتسامح والاندماج، بل كان الرأى الذى نادى به الزعماء الصهاينة يتبلور في إنشاء موطن للحياة القومية اليهودية في فلسطين، وتحقيقاً لذلك سعوا لتهجير يهود العالم إلى هذا الموطن، هكذا أصبحت عبارة المشكلة اليهودية تتردد على ألسنة الزعماء الصهاينة استدراراً لعطف الشعوب والحكام نحو اليهود بقدر ما كانت وسيلة لتخويف اليهود ودفعهم للالتفاف حول الداعين للحركة الصهيونية، وكان الزعماء الصهاينة يوقنون دائماً أنه طالما ظلت ظاهرة الاضطهاد ماثلة أمام اليهود، ارتبط هؤلاء بحركتهم وشجعوها، ووجدوا فيها ملاذاً يلوذون به كلما هدّدهم شبح معاداة السامية، وقد أمعن زعماء الحركة في استغلال دعوى اضطهاد اليهود، حتى أن بعضهم تعاون في كثير من الأحيان مع

مدبري الاضطهاد، وفي أحيان أخرى كان هؤلاء الزعماء يثيرون موجات الاضطهاد ضد اليهود[1].

يقول المؤلف أن البداية الحقيقية للحركة كانت مع نشر بنسكر كراسته عام ١٨٨٢م بالألمانية تحت عنوان "التحرر الذاتي"، وطبقاً لوجهة نظره فشل التحرر الأوربي لليهود، لأنه لم يستطع أن يجد حلاً لكل الشعب اليهودي، لذا عليه أن يعمل بنفسه من أجل حريته. وقد ادعى أن معاداة السامية ستسود طالما عاش اليهود في الغرب، وأن اليهودي كالميت الحى، أمة بلا أرض، أمة بلا لغة، بلا حكومة، تثير الخوف الدائم بين الشعوب وهو ما عُرف بـ **"الخوف المَرَضِي من اليهود" أو "יודופוביה"** .

وبمبادرة من بنسكر عُقد مؤتمر كاتوفيتس لحركة محبة صهيون، وقد دعا بنسكر في الافتتاح للعودة للزراعة في فلسطين؛ ولذا قرر المؤتمر إرسال وفد لفلسطين يتحرى عن امتيازات ومشكلات المستوطنين الأوائل، وكذا وفد للسلطان العثماني لإقناعه منح اليهود تصريح للإقامة في فلسطين، لكن السلطات العثمانية رفضت الطلب. ويبدو أن ضعف التمويل أدى لعرقلة نشاطات الحركة.

وعن سرد المؤلف لموقف ألمانيا يقول:"توجه هرتسل لألمانيا ونال دعم قيصرها فيلهالم الثاني الذي فشل في إقناع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بخطة هرتسل". ويبدو أن المؤلف لم يقنع بموقف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني حين قال:" **انصحوا الدكتور هرتزل بأننى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض؛ فهى ليست ملك يمينى، بل ملك شعبى، ولقد قاتل شعبى في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه؛ فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مُزقت إمبراطوريتى يوماً فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولاً في جثثنا، إننى أخبرهم أن عليهم أن يستبعدوا فكرة إنشاء دولة في فلسطين لأننى لازلت أكبر أعدائهم**[2]**"**، وكان ذلك هو ما دفع اليهود لإسقاطه من خلال نفوذهم الكبير في جمعية تركيا الفتاة وذراعها لجنة الاتحاد والترقي، والتي

١) سليم، محمد عبد الرؤوف: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٩١٤ ـ ١٩١٨م)، ص ٢٣.
٢)النتشة (رفيق شاكر)، عبد الحميد الثاني وفلسطين، السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، القاهرة ١٩٩١م، المقدمة.

قامت بالانقلاب العسكري عليه، وإجباره على التنازل عن العرش[1]. إن المؤلف يتجاهل أيضاً رد السلطان على مطالب هرتسل، ويكتفى فقط بالإشارة لفشله في نيل اعتراف السلطان. كما ينبغى أن نؤكد كذلك أن هرتسل لم يكن أبداً كما ادعى المؤلف ــ وهو أحد منظري الحركة، ورئيس مؤتمرها ــ متمسكاً بفلسطين، بل إنه دعا لاستئجار أوغندا في المؤتمر الصهيوني الثالث، واتفق المجتمعون على دراسة الأمر، وكان موت هرتسل وحده هو ما أدى لفشل المشروع. وعن دور ألمانيا الذي يغفله المؤلف عمداً كعادته؛ تروى صفحات التاريخ أن الإمبراطور الألماني فيلهالم الثاني قام بزيارة فلسطين بعد انتهاء زيارته الرسمية للسلطان عبد الحميد الثاني في الآستانة، وقد انتهز هرتسل زيارته تلك وقام بالذهاب إلى فلسطين على رأس وفد صهيوني سعياً وراء مقابلة إمبراطور ألمانيا في "أرض الميعاد"، وأملاً في الحصول منه على تأييد الحركة الصهيونية، لقى أعضاء الوفد الصهيوني مساعدة من بعض رجال الحاشية الألمانية لتنظيم أمر المقابلة وحدّد الإمبراطور اليوم الثاني من نوفمبر ١٨٩٨م موعداً للمقابلة في بيت المقدس، وقد أدلى الإمبراطور للوفد الصهيوني بتصريح نشرته دائرة المعارف اليهودية جاء فيه: "إن الإمبراطور يؤيد الجهود التى يبذلها اليهود للنهوض بالزراعة في فلسطين من أجل رفاهية الدولة العثمانية وتقدمها، طالما كان اليهود يحترمون السيادة العثمانية ويدينون بالولاء للسلطان العثماني"، والواضح أن ذلك كان تصريحاً دبلوماسياً ليس فيه أي مكسب للقضية الصهيونية، فقد قصر الإمبراطور كلامه على المجال الزراعى في فلسطين، حيث يبذل فيه اليهود نشاطهم بشرط أن يدينوا بالولاء للسلطان العثماني، ولم يتكلم فيلهالم الثاني عن دولة يهودية في فلسطين، ولم يُشر إلى جعل فلسطين إقليماً يهودياً في نطاق الإمبراطورية العثمانية، يتمتع باستقلال ذاتي؛ ولهذا جاء تصريح إمبراطور ألمانيا مخيباً لآمال الصهاينة. وكان تقدير الإمبراطور الألماني للموقف أنه إذا مضت ألمانيا في تأييد الحركة الصهيونية أثارت شكوك السلطان ونسفت الجهود التى بذلتها منذ عام ١٨٨٣م لغزو الدولة العثمانية غزواً اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، وبعبارة أخرى خلص الإمبراطور إلى أن صداقة الدولة العثمانية

١) صالح (محسن محمد)، فلسطين ـ دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، سلسلة دراسات فلسطينية، ط١، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٣١.

أثمن لألمانيا من صداقة القائمين على الحركة الصهيونية، ولذلك لم يكن في مقدوره أن يدلى في تلك الفترة بتصريح يرضى عنه الألماني والصهيوني؛ لأنه كان حريصاً كل الحرص على تدعيم الصلات مع الدولة العثمانية، حيث أن تقّرب ألمانيا للشرق كان رُكناً أساسيا في سياستها[1].

هكذا لم تكن ألمانيا أبداً في صف الصهيونية، ولم تعمل من أجل إقامة الدولة اليهودية، ولم تسع لها عند السلطان العثماني؛ وإنما كانت حريصة كل الحرص على مصلحتها الشخصية، وتؤكد الوثائق العثمانية أن تلك الدولة كانت معارضة وبشكل قاطع لإقامة أو هجرة اليهود إلى فلسطين، فحينما أراد يهود روسيا النزوح لفلسطين عام ١٨٨٢م تدخل بعض كبار اليهود لدى القنصل العام في أوديسا كى يمنح اليهود تصريحاً بالاستقرار بفلسطين، فكان رد الدولة العثمانية حاسماً في شكل إعلان صدر في أبريل ١٨٨٢م، جاء فيه أن الحكومة العثمانية تبلغ جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى الدولة بأنه ممنوع عليهم الإقامة في فلسطين، وأن الدولة تسمح لهم بالإقامة في أي إقليم آخر بشرط أن يكونوا رعايا عثمانيين ويخضعون لقوانين الدولة. وإمعاناً من الباب العالي؛ فقد أبلغ في ٢٢ يناير ١٨٨٣م رؤساء البعثات الدبلوماسية في الأستانة رسمياً بقرار مجلس الوزراء العثماني بمنع استيطان أو استقرار اليهود الروس في فلسطين[2]، وعن مشروع قبرص والعريش يقول المؤلف :"أما بريطانيا فقد اقترحت على هرتسل الاستيطان في أي من ممتلكاتها بالقرب من فلسطين في قبرص أو العريش، لكن الخطة فشلت نتيجة لصعوبات اكتنفتها"، يبدو أيضاً أنه تناسى أن هرتسل هو من اقترح على بريطانيا هذا الطلب وليس العكس، لقد أجرى هرتسل في عام ١٩٠٢م محادثات سياسية مع جوزيف تشمبرلن وزير المستعمرات في وزارة بلفور بهدف استصدار موافقة من الحكومة البريطانية على توطين اليهود في جزيرة قبرص أو في شبه جزيرة سيناء، وقد صرح هرتسل لوزير المستعمرات البريطاني أن توطين اليهود في أيهما سيؤدى لتمكين بريطانيا من الاستيلاء على فلسطين، حيث كان هرتسل يرى أنه إذا سُدَّت جميع السبل في وجه اليهود فلا بأس من

١) الخولي، ص ٧٨- ٧٩.

٢) المرجع السابق نفسه، ص ١١- ١٢.

توطين اليهود في إحدى الممتلكات البريطانية على حد قوله، وفي خلال المحادثات حرص هرتسل على تملق وزير المستعمرات فوصفه قائلاً:" أنتم أعظم قوة مؤثرة في شعبنا منذ تشرده[١]".

هذا وقد تجمعت عدة أسباب حملت حكومة لندن على هذا التحول في موقفها من مشروع بسيناء، كان أهمها : أن اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر كان غير متحمس للمشروع، وكان يرى أنه يتطلب تحويل مقادير هائلة من مياه النيل لسيناء مما يؤثر على كميات المياه اللازمة للزراعة المصرية، وأن تنفيذ المشروع الصهيوني يزيد من متاعب بريطانيا في حكم مصر، وأن الانجليز يواجهون العديد من المشكلات وليس من الحكمة إضافة المزيد منها، وأن الرأي العام في مصر كان يعارض المشروع معارضة شديدة.

اعترضت الحكومة التركية على هذا المشروع، حيث إن الفرمانات الصادرة من السلطان العثماني لولاة مصر من أسرة محمد على لا تخول لهم الحق في الموافقة على توطين جماعات من السكان الأغراب عن البلد، ومنحهم الحكم الذاتي في المنطقة التى ينزحون إليها ويقيمون فيها. وبذلك أرسلت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة مؤرخة في ١٩ يونيو ١٩٠٣م إلى هرتسل قررت فيها أنه يتعذر عليها المضى في بحث مشروع توطين اليهود في سيناء. ثم أردفت هذه المذكرة بأخرى مؤرخة في ١٦ يوليو ١٩٠٣م ورد فيها أنها قررت بصفة نهائية ترك مشروع سيناء ووضعه على الأرفف[٢]، هكذا كان الواقع مختلفاً كثيراً عما أورده المؤلف؛ حيث إن مشروع سيناء لم يرفضه الصهاينة بسبب المياه وإنما تراجعت بريطانيا عن مجرد بحثه لما فيه من مشكلات آثرت بريطانيا فيها السلامة، وأن مشروع سيناء كان اقتراحاً من هرتسل وليس من بريطانيا العظمى.

ويأتي دور من أسماهم بمبشري الصهيونية؛ فرغم تأثر غالبيتهم بالفكر الغربي؛ إلا أنهم لم يدعوا إلى إنشاء دولة بفكر مسبق؛ وإنما نتيجة لظهور القوميات في أوربا، ويأتى على رأس

١) المرجع السابق نفسه، ص ٨٨.

٢) المرجع السابق نفسه، ص ٩٤- ٩٥.

هؤلاء المبشرين موشيه هس وكتابه **"روما والقدس"** الذي يزعم فيه أن اليهود أمة، ولذلك فإن حل مشكلة الأمة اليهودية ربما يكمن في إقامة طائفة يهودية اشتراكية في فلسطين متأثراً بالفكر القومى في أوربا. ويبدو أن موشيه هس الذي يُفترض أنه يعلم دقائق علم التاريخ والسياسة لا يعى ماهية الأمة كمصطلح سياسى، أن الأمة بمعناها السياسى القومى كما تقول النظريات السياسية تتكون من الأفراد الموجودين في الدولة، وكذلك تشمل الآباء والأجداد السابقين والمقيمين على الإقليم الخاص بالدولة في الماضى، والأحفاد الذين سيتواجدون في المستقبل باعتبار أن ذلك يوضح ويحدد ضمير الأمة الذي تعبر عنه في لحظة معينة[1]، وبهذا فتعبير الأمة لا ينطبق البتة على الطوائف والجاليات اليهودية التى كانت منتشرة في العالم بأى صورة من الصور؛ فلم تكن الطوائف اليهودية أو أية طائفة في أية دولة من دول أوروبا شرقها أو غربها تتمتع بوجودها على أرض وحدود سياسية معروفة، أو حتى تتمتع بطابع سياسى، أو عاش عليها الأجداد وصولاً للأحفاد، هذا إضافة إلى الصدام مع الجماعات الدينية التى اعترضت على أفكارهم لأنها تدعو لتسريع النهاية، خاصة وأن المسيح لم يأت بعد. في حين أن الطوائف اليهودية التى كانت منتشرة في أوربا سعت ونالت حق المواطنة ، بما يعنى أنها لم تكن تألو بالاً لمجرد فكرة الوطن أو القومية.

يقول المؤلف كذلك إن المؤلَّف الحقيقى للصهيونية كحركة قومية تمثل في كراسة بنسكر التى نشرها في عام ١٨٨٢م بالألمانية تحت عنوان **"التحرر الذاتى"** كدعوة لبنى شعبه من يهود روسيا، وطبقا لوجهة نظره فشل التحرر الأوربي لليهود، لأنه لم يستطع أن يجد حلاً لكل الشعب اليهودي، لذا عليه أن يعمل بنفسه من أجل حريته. وقد ادعى أن معاداة السامية ستسود طالما عاش اليهود في الغرب، وأن اليهودي كالميت الحى، أمة بلا أرض، أمة بلا لغة، بلا حكومة، تثير الخوف الدائم من اليهود بين الشعوب (**יודופוביה**)، هكذا كانت الدعوة موجهة فقط لبنى شعبه، لكنه يرى أن بنى شعبه هم يهود روسيا، وليس اليهود المنتشرين في كل ربوع الأرض، كما يتناسى بنسكر في مؤلفه أن شعبه هذا هو الذي رفض التحرر بأفعاله

١) فتح الباب (ربيع أنور)، النظم السياسية ـ السلطة، الدولة، الحكومة صورها وأساليبها، القاهرة ٢٠١١م، ص ٩٥.

وخيانته واغتيالاته وتشكيله دولة داخل الدولة، وطابور خامس يعمل على هدم الدولة التى احتضنته، ويعود ويؤكد كالعادة على أن اليهود هم مشردو الأرض ومضطهدوها، حتى أصبحوا بالفعل مثيري القلق والخوف لدى الشعوب التى عاشوا بين ظهرانيها.

وبشان **الصور** يقدم المؤلف عدداً من الصور تدعم الفكر الصهيونى، كان أهمها صورة لعلم اقترحه هرتسل يقتسمه اللونين الأزرق والأبيض وفي المنتصف نجمة داود محاطة بسبع نجوم ذهبية، وصورة ثانية لنجمة داود كرمز للمؤتمر الصهيونى الأول ١٨٩٧م، وصورة ثالثة لهرتسل يقف متأملاً فوق جسر على نهر الراين. يبدو أن المؤلف يقدم هذه الصور للصبية مثنّياً على هرتسل وجهوده ومعاناته، ومصوراً لهم هذا الرجل باعتباره منقذ الأجداد من القهر والظلم والعذاب، ويؤكد المؤلف ذلك بتقديمه صورة أخرى لجنازة رسمية وشعبية لهرتسل بما يعنى التأكيد على أفكاره عن هذا الرجل.

وعن **الخرائط** يقدم لنا المؤلف خريطة واحدة في هذا الشأن هى خريطة لفلسطين في القرن التاسع عشر قبل الهجرة الأولى، نجد فيها فلسطين مقسمة لأربع مناطق هى عكا، ونابلس، والقدس وغزة، وقد جاءت هذه الخريطة بمسميات عبرية خالصة، حيث وردت كل المناطق والقرى والمدن والبلديات بمسمياتها في العهد القديم؛ رغم أن اليهود لم تكن أقدامهم قد وطأت أرض فلسطين بعد، حتى يبعث برسالة مفادها التأكيد على أحقيتهم في أرض الآباء التى كانوا يصورونها بأنها خاوية كما تركوها.

وبشان **الوثائق** يقدم لنا المؤلف عدداً من الوثائق المتعلقة بذات الفكرة؛ حيث يقدم لنا وثيقة عن المسالة اليهودية في أعين بنسكر من خلال كراسته "التحرر الذاتي" والذي يتناول فيها مشكلة "اليودوفوبيا" باعتبارها مرضاً نفسياً لا علاج له يصيب النفس البشرية منذ أكثر من ألفى عام، كما قدَّم المؤلف وثيقة أخرى عن اصطلاحات جماعة بيلو، والتى أعلنت أنها ستبذل قصارى جهدها لتخليص شعب إسرائيل وإعادته لوطنه القومى إرث أبائه، ولغرسه لينمو بشموخ، ولمساعدته لئلا يخطئ، ولدعمه لئلا يسقط، ولنفخ روح الحياة في أوصالهم، وربما لا نستغرب زيف إدعاءات الوثائق، لكن المستغرب أن يأتينا المؤلف بهذه الصورة التى تبدو إيجابية جداً، ويتناسى نتائج دعوة الجماعة للهجرة للغرب الأوربي وأمريكا وجنوب أفريقيا.

ويقدم لنا المؤلف عدد لا بأس به من **الأسئلة** المتعلقة بجهود الحركة، كان من أهمها ما أتى في نهاية الوثائق ليؤكد مغزى الوثيقة في عقول الصبية، فيذِّيل المؤلف وثيقة بنسكر بعدد من الأسئلة هى:

- **من خلال كلمات بنسكر حدد جملتين أثرا فيك على وجه الخصوص، ثم وضح سبب اختيارك؟**

هكذا يراهن المؤلف كذلك على مشاعر الصبية ومدى انفعالهم بكلمات مثل معاداة السامية، والمقارنة بالشعوب الأخرى، وتأثير بنسكر وكلماته في الصبية والتأكيد على هذا الإحساس.

عدد من الأسئلة يُذِّيل به المؤلف وثيقة بيلو أيضاً، وقد جاءت الأسئلة على النحو التالي:

- **ما هى طبيعة اليهودي التى حاولت جماعة بيلو إنتاجه؟**

مرة أخرى يراهن المؤلف على دور الجماعات في صناعة اليهودي الجديد، رغم كل العراقيل التى وضعت في طريقها؛ إلا أنها كانت مُصرَّة على القيام بدورها التاريخى!

وعن جهود هرتسل جاءت الأسئلة الآتية:

- **زعم هرتسل أن دولة اليهود مطلب دولى ولذلك سيتحقق؟ وضح من وجهة نظرك لماذا كان مطلباً دولياً؟**
- **لماذا رأى معارضو هرتسل أن خطته درب من الجنون؟**
- **ضع عنواناً رئيسياً لصحيفة وبها خبر عن مؤتمر بازل؟ اقترح مكان صدور الصحيفة وسمات جمهور القرّاء؟**
- **لماذا قبل هرتسل مشروع أوغندا؟ بيّن موقفك؟**
- **كيف يمكن تفسير قبول يهود غرب أوروبا لمشروع أوغندا رغم رفض يهود شرق أوروبا له ؟**
- **هل تظن أن مناقشة مشروع أوغندا من دروب ديمقراطية الحركة الصهيونية؟**

هكذا كانت الأسئلة تخدم ــ كعادة المؤلف ــ أهدافه في تبجيل الصهيونية ومنظِّريها، وتبجل هرتسل وجهوده وجهود الحركة وتعطيه المبررات، أو تدفع الصبية لإعطائه المبررات لذلَّاته وسقطاته كمشروع أوغندا، أو كما يمكن أن نسميه الضربة الاستباقية، فيسبق الصبية بتبرير مقبول لمشروع أوغندا قبل أن يعبروا عن امتعاضهم منه، كما يفترض أن ذلك كان من قبيل الديمقراطية ليس إلا؛ فاليهود كانوا سيرفضونها في النهاية، ثم يعود ويؤكد على ألسنة الصبية في إجاباتهم المتوقعة أن يهود غرب أوروبا تقبلوا مشروع أوغندا نتيجة لضائقتهم.

وبشان **الهوامش**، يقدم المؤلف **هامشاً** خاصاً بعلم هرتسل يفترض فيه أن النجوم السبعة المحيطة بالعلم هى عدد ساعات العمل اليومى السبع، والتى ستدفع المزيد من اليهود للهجرة لفلسطين. ويقدم المؤلف عدداً من الهوامش الأخرى التى يقدم فيها بعض الصهاينة من مختلف التيارات الصهيونية التى هاجرت لفلسطين ونشطت هناك، هامشاً آخراً للقائد الصهيوني ماكس نورداو الذي دعم هرتسل، وكان من مؤيدي مشروع أوغندا.

**د) اتجاهات موجات الهجرة**

تؤكد الإحصائيات الخاصة بأعداد اليهود قبل الحرب العالمية الأولى، والمنتشرين في العالم إلى أن التجمع اليهودي في روسيا عام ١٩١٠م كان يمثل أكبر تجمع يهودي في أوروبا بل وفي العالم بأسره، حيث وصل عددهم إلى ٥,٦٠٠,٠٠٠ نسمة، ويأتي يهود النمسا في المرتبة الثانية بما يقارب مليوني نسمة، وقد انتشرت الأفكار الصهيونية بين يهود روسيا، لأنهم لم ينعموا بالحرية التى نعم بها أقرانهم في وسط وغرب أوربا، واعتنق هؤلاء فكرة العودة إلى فلسطين "بلد أجدادهم"؛ غير أنه لم تكن لديهم أية علاقة بفلسطين من ناحية الجنس، فلم ينحدروا من نسل يعقوب كما يدعى الصهاينة، بل أنهم يرجعون إلى الجنس المغولى الفنلندي القادم من آسيا ووسط أوروبا في القرن الأول الميلادي واستوطنوا شرق أوروبا إلى أن اجتاحتهم روسيا فاضطروا للتهود في القرن السابع الميلادي[1]، وقد كان تصفية الشتات اليهودي أو "جمع شتات المنفيين" (**קיבוץ הגלויות**)، من الثوابت الرئيسة في صلب بنيان الأيديولوجية الصهيونية، حيث كان أساس الفكر الصهيوني هو تفريغ الشتات اليهودي بشتى الوسائل،

١) سليم، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٩١٤ – ١٩١٨م)، ص ٢٦ - ٢٧.

والدفع بهم إلى فلسطين تمشياً مع العقيدة الصهيونية الرامية لاستعمار "فلسطين"، فالحركة الصهيونية بزعامة هرتسل وأعوانه هى التى خلقت هذا الكيان الاستيطانى الاستعمارى، ورغم ذلك لم يكن مهماً فى البداية أين يقام هذا الكيان فى أوغندا أو الأرجنتين أو غيرهما، ثم جاء التحول إلى فلسطين ليكون الدين اليهودي قوة دفع وجذب ليهود الشتات فى هجرتهم إلى فلسطين تنفيذاً للأفكار التوراتية بـ"الأرض الموعودة"، ومن هنا سعت الحركة الصهيونية لإنجاز نجاحات استيطانية سياسية ودينية على الرغم من المعارضة من قطاع كبير من اليهود، وحدوث انقسام واختلاف فكرى ودينى حول ذلك، ولكن فى النهاية نجحت الصهيونية فى بناء هذا الكيان على أرض فلسطين حيث يقول هرتسل: "إن فلسطين هى وطننا التاريخى الذي لا ينسى ... وأن هذا الاسم وحده سيظل صيحة لم الشمل القوية لشعبنا".

وقد أيقن المهاجرون لإسرائيل أنه لا أمل في العيش في روسيا، وأنهم دائماً كانوا أجانب؛ لذلك فالمخرج الوحيد هو التنظيم القومى والعمل على إقامة دولة لليهود في فلسطين أرض الآباء، وقد ذكر المهاجرون أن كثيراً من اليهود فضّلوا البقاء والعمل في روسيا، وانضم شباب اليهود إلى الحركات الثورية في روسيا، حيث اعتقدوا أن الثورة ستغير الوضع اليهودي في روسيا. وتناسى المؤلف أن هذه الهجرة كانت رد فعل على استخدام الصهيونية وزعمائها لأحداث "مذابح" روسيا التى تعرض لها اليهود نتيجة مشاركتهم في قتل قيصر روسيا ألكسندر الثاني في عام ١٨٨١م، بل والأكثر من ذلك أنه أورد قضية مقتل القيصر على أنها لُفقت لليهود في إطار حديثة عن اضطهاد اليهود ليس أكثر. وفي الهجرة الثانية تناقضت الأعداد الرسمية؛ فقد هاجر ما يقرب من ٣٥ ألف يهودي أغلبهم من روسيا وبولندا اختاروا إسرائيل لكنهم كانوا يمثّلون ٤٪ فقط من مجموع المهاجرين، وتوجه بقية المهاجرين إلى أمريكا. ومن العوامل التى أدت للهجرة نحصى مذابح روسيا ١٩٠٥م التى دفعت عدداً كبيراً من اليهود لليأس والهجرة. كذلك حفَّز مشروع أوغندا الهجرة؛ حيث رأى كثيرون أن اقتراح أوغندا خيانة لصهيون ومن ثم هاجروا لفلسطين. ورغم هجرة عدد كبير بعد دعوة يوسف فيتكن ١٩٠٥م؛ إلا أن أكثر من ٩٠ ٪ من اليهود المهاجرين ارتدّوا نتيجة ظروف الحياة، واندلاع الحرب العالمية الأولى، يبدو أن المؤلف تغاضى عن حقيقة هامة ألا وهى أن

من اليهود من تحمس بشدة لمشروع أوغندا، وبلغ من حماسهم أن استعدت أفواج كثيرة من يهود رومانيا للهجرة إلى أوغندا[١].

وفي فلسطين، فضّل الفلاحون اليهود منذ البداية العمال العرب، على عكس العمال اليهود الذين أرادوا اقتناص العمل من أيدي العرب. وكان العمال في الهجرة الثانية مثل الأولى؛ حيث لم يألفوا العمل في أجواء فلسطين خاصة في فصل الصيف، ثم يتناول نشأة المنظمات السرية نتيجة لهجمات العرب والشركس على المستوطنات وسرقتها، قامت في يافا ١٩٠٧م منظمة سرية باسم "بر جيورا"، وكان شعارها "بالدم والنار سقطت يهودا، وبالدم وبالنار يهودا ستقوم"، بهدف حماية اليهود من العرب "اللصوص الهمجيين"، ولا غرابة في ذلك، فالعربي يُقدم للصبية اليهود بأنه لص قاتل همجى، يحارب الوجود اليهودي في "وطنه التاريخى"، والغريب أن أول منظمة سرية جاءت تحت اسم بر جيورا ؛ ذلك الرجل المدعو شمعون بر جيورا الذي كان يقود عصابة يعيش معها على نهب أهالى الخليل، ويهاجم القرى ويدمرها ويقتل من بها من أبناء جلدته بمساعدة جماعته المسماة بالسيكاريم أى حملة الخناجر.

ولا عجب أن نجد آحاد هعام[٢] أحد مفكري الصهيونية المدعو يقول مندهشاً في مقال له في جريدة هاملیتس حينما زار فلسطين وتعرف على أوضاع المهاجرين هناك: "ماذا يفعل إخواننا في فلسطين؟ إنهم كانوا عبيداً في المنفى، وفجأة وجدوا أنفسهم أحراراً، بلا حدود وبلا رادع، إن هذا التحول قد خلق في نفوسهم حالة من الميل إلى الاستبداد، كحالة العبد الذي يتحول إلى سيد، إنهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة، ثم يفاخرون بما يفعلون، ورغم ذلك فليس هناك بيننا من هو قادر على الوقوف في وجه هذا الميل الخسيس والخطير في آن واحد[٣]".

---

١) الخولى، ص٩٩.

٢)عبارة تعنى أحد العامة، وهو الاسم الذي اشتهر به الكاتب الروسي آشر جرينبرج، والذى كان يكتب بالعبرية ، ويعد احد أهم الكتاب والمفكرين في الأدب العبرى الحديث، كما يُعد فيلسوف الصهيونية الثقافية والمؤسس الحقيقي للفكر الصهيوني، للمزيد راجع، المسيرى، الموسوعة الموجزة، ص ٣٠٢.

٣) ظاظا، ص ٦٦.

وعن **الصور** يقدم المؤلف عدداً من الصور تمنح الأمل في مستقبل الدولة، كان منها صورة لمزارع الكروم في مستوطنة جدارة، يبدو أن المؤلف يتفاخر بظهور المستوطنات والمصانع اليهودية في فلسطين، ويحاول التأكيد على قدمها وقدم اليهود في فلسطين.

وبشأن **الخرائط**؛ قدّم المؤلف خريطة لموجات الهجرة في الفترة من ١٨٥٠ حتى ١٩١٤م، واتجاهاتها المتنوعة، ويحصى أعداد المهاجرين لكل من كندا، والولايات المتحدة، وأمريكا الجنوبية، والأرجنتين، وجنوب أفريقيا، واستراليا، وفلسطين، ويبرز من الإحصاء أن المهاجرين إلى فلسطين جاءوا في المرتبة الثالثة، بعد الولايات المتحدة التى هاجر إليها ٢,٠٤٠,٠٠٠ يهودي، والأرجنتين التى هاجر إليها ١١٥,٠٠٠ يهودي؛ حيث هاجر إليها ٦٥,٠٠٠ يهودي، كما أن الخريطة تشير بشكل غير مباشر إلى ذلك الحنين المزعوم حينما يقدم لنا الولايات المتحدة على أنها هى أرض الميعاد وليست فلسطين؛ حيث هاجر إليها ٢,٠٤٠,٠٠٠ يهودي مقابل ٦٥ ألف يهودي فقط هاجروا إلى فلسطين في أربع وستين عام، فأين كان الحنين اليهودي للوطن القومى طيلة ٦٥ عام ادعى اليهود والصهيونية فيها الاضطهاد بكافة أشكاله.

هذا، ويعتمد المؤلف في هذه الجزئية أيضاً عدداً من **الخرائط** المتعلقة بفلسطين، يعتمد فيها الأسماء العبرية لكل المدن والمناطق، رغم ما كان ينبغى عليه باعتباره أستاذاً جامعياً من اعتماد أسماء هذه المدن كما هى في هذه الفترة، لكنه آثر دعم الفكرة الصهيونية القائلة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، لم يأت المؤلف بأية قرية أو مدينة عربية متجاهلاً الوجود العربي تجاهلاً تاماً.

ثم يؤكد المؤلف أفكاره للصبية بطرح عدد من **الأسئلة** متعلقة بالخريطة؛ حيث جاء رأس السؤال: اقرأوا الخريطة ودققوا النظر بها وبالعهد القديم ثم أجيبوا؟

١- في أى مناطق "أرض إسرائيل" أقيمت مستوطنات الهجرة الأولى؟ مثّلوا؟

٢- تفحّصوا خمسة أسماء لمستوطنات الهجرة الأولى ثم فسّروا مصدرها الأصلي؟

هكذا يؤكد المؤلف في رأس السؤال على الاتصال بين الأجداد! والأحفاد، بين العبرانيين وبنى إسرائيل واليهود ثم الصهاينة على أرض الميعاد، ثم نستطيع أن نرى كيف يتجاهل في تقديمه للخريطة الوجود العربي، ويتجاهل أن اليهود كانوا مجرد مهاجرين سلبوا الحق العربي، ويتجاهل أن هذه القرى والمدن كانت في هذا التوقيت عربية ذات أسماء عربية. يبدو واضحاً من طبيعة الطرح أن **الأسئلة** موجهة لصبية غُرست في عقولهم وقلوبهم مجموعة مفاهيم أهمها أن هذه الأرض هى أرض الآباء، وهى ملكهم بتاريخها وحاضرها ومستقبلها، انتظروها وانتظرتهم والآن حان موعد اللقاء! كما يؤكد المؤلف أن الحياة كانت هادئة ومتطورة، وأن مستوطنات الهجرة كانت تنعم بحياة هادئة تميزت بالتقدم والتطور، ويجب على الصبية أن يلمسوها بأنفسهم، وكأنما لم تحدث ردة أو انسحاب أو عودة بعد الهجرة.

يطرح المؤلف عدداً آخراً من الأسئلة متعلقة بذات الموضوع، كان منها:

١ – التحرر يعنى التقدم، ومعاداة السامية تعنى الانسحاب، وضّح كيف أثر الاثنان على القومية اليهودية؟

٢ – ما هى العوامل التى ساعدت على تسريع الهجرة الأولى لفلسطين، وماذا جذبهم لها؟

هكذا يفترض أو يتخيل المؤلف أنه كان بفلسطين استيطان يهودي قديم ذو تأثير ومميزات، كما يتوهم أن معاداة السامية أدت لدفع اليهود للهجرة، كذلك يظن أن اليهود انجذبوا لفلسطين بدافع مهم هو الحنين لفلسطين أرض الآباء بعد ما يقرب من ألفى عام! أسئلة أخرى تتعلق بجهود إليعيزر بن يهودا في إحياء اللغة العبرية، كان منها: ما هى الصعوبات التى واجهت بن يهودا؟ هات الكلمات الجديدة التى قدمها بن يهودا؟ هل لازالت مستخدمة حتى اليوم؟ يبدو أن المؤلف عندما تحدث عن بن يهودا يبجله ويطالب الصبية بالبحث عن جهوده وتثمينها.

وبشأن **الهوامش الجانبية**، يورد هنا المؤلف عدد من الهوامش لعدد من أبرز المهاجرين أمثال إسرائيل باك "ישראל ב"ק" مؤسس جماعة "كل إسرائيل أصدقاء"، لكنه يتجاهل تماماً أعداد اليهود الكبيرة التى هاجرت للغرب الأوربي أو لأمريكا أو اليهود الذين رفضوا الهجرة من الأساس.

يقدم المؤلف في **استراحته** هنا باختيار موضوع يخدم أفكاره فجاء تحت عنوان **"سائحون في الأرض المقدسة"**؛ حيث يناقش المؤلف موضوع يتعلق بسفر اليهود بكافة طوائفهم ــ باحثين وأدباء، رجال ونساء ــ لفلسطين ويؤكد على وجود التواصل بين اليهود في شتى أنحاء العالم وأرضهم الموعودة. وجاءت المهمة الأساسية للاستراحة هى إعداد إعلان عن رحلة تحت عنوان **"سافروا للأرض المقدسة"**، أي أنه يطلب من الأطفال تنظيم برنامج للسفر لفلسطين والترويج له، وبما أن الصبية الذين سيقومون بذلك سيتسابقون هم بالأحرى للتمسك بها، كما يقدم المؤلف استراحة ثانية تحت عنوان: **نغنى لك يا وطن**. يقوم فيها بجمع عدد من الأشعار الخاصة بالمهاجرين لفلسطين ويقدمها كأشعار وأغانٍ وطنية تلهب مشاعر الصبية وتحفزهم نحو التقارب والانتماء.

**٥) اليهود والحرب العالمية الأولى:**

يحاول المؤلف أن ينسج قصصاً بطولية حول اليهود تظهرهم في أفضل الصور، فيذكر أنه أثناء الحرب العالمية توقفت الهجرة لصعوبة الحياة هناك، حيث رفض اليهود المواطنة العثمانية. حتى لا ينخرطوا في الخدمة الإلزامية في الجيش العثماني، رغم أنه عاد ليذكر أن بعضاً من اليهود ساندوا الدولة العثمانية طمعاً في فلسطين، وأن من فضلوا التجنيد في الجيش جُندوا برغبتهم، يقول المؤلف:"رفض معظم اليهود المواطنة العثمانية، خشية ظروف الخدمة الإلزامية الصعبة، حيث عانوا من الرشوة، وقسوة العقوبات والتنكيل بالجند، لكن قليلاً من اليهود جُندوا برغبتهم، حيث رأوا أن الخدمة في الجيش التركى ستعود بالفائدة على القضية، لكنهم بعد التجنيد والمعاناة من أوضاع الجيش حاولوا البحث عن وسيلة لترك الخدمة". وحينما أيقن يهود الدولة العثمانية نجاح بريطانيا، عملوا على مساندتها عبر الكتائب المهمَّشة التى عملت في الإمداد والتموين، وكذلك في شبكات التجسس، هكذا كان حال اليهود المواطنين داخل دولة آوتهم وحمتهم لقرون طويلة، يقول المؤلف:"حينما اقترب الجيش البريطاني من فلسطين، قام جمال باشا والى فلسطين بطرد ٥٠٠٠ يهودي من يافا وتل أبيب للشمال خشية مساندتهم للانجليز، مما زاد من معاناة اليهود، وكلما اقتربت بريطانيا من احتلال فلسطين، تعالت أصوات اليهود المنادية بتحسين العلاقات مع بريطانيا، مما أدى

لإنشاء كتائب عبرية داخل الجيش البريطاني، وكان من الساعين لذلك زئيف جابتونسكى ويوسف ترومبيلدور، حيث تكونت كتيبة راكبى البغال تحت قيادة يوسف ترومبيلدور بهدف الإمداد والتموين وليس الحرب، ومع نهاية الحرب كانت هناك ثلاث كتائب عبرية عملت في كل من بريطانيا والولايات المتحدة وفلسطين، كما أُقيمت شبكة تجسس عام ١٩١٥م نتيجة اليأس من سياسات جمال باشا، أخيراً يأتي المؤلف ليذكر لنا أنه بانتهاء الحرب العالمية، أصدرت بريطانيا وعد بلفور، ويعدد الأسباب، ويذكر أن منها أو على رأسها تعاطف رئيس وزراء بريطانيا بلفور مع الحركة الصهيونية".

والحقيقة أن الحكومة العثمانية ظلت ترتاب في النوايا الصهيونية، وتشك في أهدافها، حتى أصدر جمال باشا قبيل نشوب الحرب أمره بمكافحة النشاط الصهيوني الذي وصفه بالشغب والضرر بعد أن أدرك أن الصهاينة يسعون لإنشاء حكومة يهودية في القسم الفلسطينى من الإمبراطورية العثمانية، وقد دعم هذا الإدراك تلك التقارير التى رفعها بهاء الدين بك، والتى لفت فيها نظر الحكومة إلى الظواهر التى كان يتسم بها الاستعمار الصهيوني في فلسطين، ومنها احتفاظ اليهود بجنسياتهم الأجنبية، وتقديم دعاواهم إلى محاكم يهودية واستعمالهم أوراق عملة خاصة بهم، فضلاً عن الشعارات الخاصة بالدولة اليهودية، ومنها الطوابع البريدية الصهيونية والعلم الصهيوني ذو اللونين، واستبدالهم العمال اليهود بالعمال العرب[١].

والحقيقة أن الإجراءات التى اتخذها جمال باشا كان يجب اتخاذها من قبل، فهى تتناسب مع مظاهر التحرر اليهودي من سلطان الدولة والاستقلال عن سلطاتها، وتتفق مع التعدي الصهيوني على حق الدولة الشرعى في السيادة، وربما كان المسئولون الأتراك يمنون أنفسهم باتخاذ مثل هذه الإجراءات منذ بدأ اليهود في فلسطين يخرجون على نظام الدولة العثمانية بهذه الأساليب لولا أنهم حسبوا حساباً كبيراً لتدخل الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة وألمانيا، ثم وجد جمال باشا في ظروف الحرب فرصة سانحة فأطلق يده وقام بما لم يقم به

١) سليم، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٩١٤ – ١٩١٨م)، ص ١٢٩.

سابقوه، على أن تطور الأحداث أثبتت أن اليهود كانوا يشكلون خطراً على أمن البلاد في تلك الفترة الحرجة، وخير دليل على ذلك نشاط جماعة **"عتليت"** التى تزعمت العمل الصهيوني في فلسطين، وقُبض على من حاول منهم البقاء في البلاد، وعلى ذلك يمكن القول بأن إجراءات جمال باشا إنما كانت إجراءات أمن اقتضتها ظروف الحرب، غير أن زعماء الصهيونية خارج فلسطين ادعوا أن القائد التركى كان يحقد على اليهود ونددوا بسياسته في فلسطين حين نشر بلاغاً هدّد فيه بعقوبات شديدة لمن يقوم بعمل يعضد القضية الصهيونية، وحين أمر بإغلاق البنك الانجليزي الفلسطينى، كان ذلك لأن البنك شكل عماد المستعمرات اليهودية في فلسطين؛ على أن القائد التركى أمر بإغلاقه بعد أن تبين له أنه أُسِّس على أنه شركة مالية انجليزية، وبذلك يدخل في نطاق الإجراءات التركية التقليدية المتبعة ضد الأعداء. وكان من شأن هذه الضغوط أن تساهلت الحكومة العثمانية كثيراً مع يهود فلسطين رغم أن الإجراءات التى اتخذت مع سكان فلسطين من اليهود لا يمكن أن تقاس بما قاساه عرب الشام على يد نفس الرجل[1]، وقد كان لأمره بإخلاء يهود يافا صدى كبير على اليهود خارج فلسطين؛ رغم أن الأمر لم يتشدد في الإخلاء، وإنما أُرجئ بناء على طلب اليهود ليومين بعد الانتهاء من احتفالات عيد الفصح، كما سعى جمال باشا إلى مساعدة المتضررين من أمره بمنحهم قروض مالية، وقد يكون من المقبول أن يحتج اليهود لو أن الأمر كان خاصاً بهم فقط؛ لكنه كان أمراً عاماً على جميع السكان في المنطقة، وما أصاب اليهود أصاب العرب، مع الفارق في أن اليهود كالعادة وجدوا من يدافع عنهم، فقد رأت تنفيذ الإخلاء حتى لا تتأثر ممتلكات السكان ومنقولاتهم وأرواحهم حينما تصبح مدينتهم ساحة للمعركة مع بريطانيا الزاحفة تحت قيادة الجنرال اللنبى، إلى جانب ذلك ربما خشت تعاون يهود يافا مع الجيش البريطاني، كما عمل يهود بولندا مع الجيوش الألمانية المتقدمة لغزو المقاطعات البولندية من الإمبراطورية الروسية[2].

والحقيقة أنه عندما نشبت الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤م، وقف اليهود بكل منظماتهم الصهيونية منكمشين في البداية؛ ذلك أنهم كانوا يريدون كالعادة أن يكونوا عملاء

١) المرجع السابق، ص ١٣٨- ١٣٩.

٢) المرجع السابق، ص ١٤٥- ١٤٦.

للاستعمار لتحقيق أهدافهم، فتمسكوا بالحذر حتى تتكشف الجولات الأولى ونتائجها، ولهذا لم يحرك يهودي ساكناً حتى صيف ١٩١٦م، كان الأتراك والألمان يحاربون بريطانيا، ونتيجة خوفهم من الطلائع اليهودية التى كانت موجودة بفلسطين، ولاسيما المتطرفين منهم؛ شدّدوا الرقابة عليهم، وراحوا يعتقلون المشتبه فيهم، ويصدرون قرارات إبعاد لمن لا يحمل إقامة دائمة من اليهود عن البلاد، إذاً كان اليهود عنصراً من العناصر المثيرة للقلق، بل شكلوا طابوراً خامساً داخل الدولة العثمانية خاصة في فلسطين، وبالتالي كان على العثمانيين أن يتخذوا من الإجراءات ما يكفل لها تأمين أراضيهم حتى ولو كان ذلك عبر الطرد خاصة وقت الحرب، وخاصة أن اليهود لم يعلنوا عن موقفهم من اللحظة الأولى، ولم يقفوا جنباً إلى جنب مع الدولة العثمانية؛ وإنما فضّلوا الوقوف لجانب الانجليز بعد أن بدأ الانتصار يلوح لهم.

ومع اندلاع الحرب العالمية ودخول تركيا الحرب، تقدمت جماعة من الصهاينة من يهود تركيا باقتراح للحكومة يقضى بتخصيص فرقة عسكرية من اليهود للعمل في صفوف الجيش التركى المخصص للدفاع عن فلسطين، ورأوا في اقتراحهم أن تتألف هذه الفرقة من ١٠.٠٠٠ رجل، واشترطوا على الحكومة التركية أن تمنحهم ضماناً قاطعاً قبل تكوين هذه الفرقة باستعمار اليهود لفلسطين بعد الحرب إن انتصرت تركيا[١]، أي أن اليهود في محاولة ابتزاز عرضوا على الأتراك المساعدة في مقابل الاستيلاء على فلسطين، لكن الأتراك رفضوا عرضهم، فاتجهوا لابتزاز الإنجليز، وحينما وضعت الحرب أوزارها، واتفقت الدول الكبرى على اقتسام أملاك الدولة العثمانية، وجدت الصهيونية فرصتها للوصول إلى "أرض الميعاد"، فلما دخلت تركيا الحرب إلى جانب الحلفاء عمل حاييم وايزمان على توثيق علاقته بكبار الساسة الانجليز، ووعدهم ببذل الجهد لوضع فلسطين تحت الحماية البريطانية إذا أيدتهم بريطانيا في تحقيق أمانيهم في الوطن القومى، وبهذا الشكل صدر وعد بلفور بعد أن أصبحت فلسطين من نصيب بريطانيا[٢]، والحقيقة أن الدارس بعمق لوعد بلفور يوقن أن هناك سببين

١) المرجع السابق، ص ١٤٢.

٢) ظاظا، حسن وآخرون: الصهيونية العالمية ، المرجع السابق نفسه، ص ٩٢- ٩٣.

لتصريحه هذا ألا وهما: **أولاً**: خوف الوزارة البريطانية من أن تسبقها ألمانيا في إصدار التصريح لليهود باستيطان فلسطين على غرار التصريح البريطاني، حيث أرادت بريطانيا أن تكسب إلى جانبها يهود دول الوسط، ألمانيا والنمسا، وأن تجعل يهود روسيا الذين أسهموا في الإطاحة بحكم أسرة رومانوف يعملون على إبقاء روسيا في الحرب بعد الثورة البلشفية التى كانت قد اندلعت في مارس ١٩١٧م. **والثاني**: كان عسكرياً حيث أن فلسطين كانت البوابة الشرقية لمصر وقناة والسويس، وكانت بريطانيا مطمئنة إلى وجود صحراء سيناء شرق القناة، معتقدة أن هذه الصحراء هى حصن طبيعى يقى مصر خطر الزحف عليها، بل وهى مقبرة للغزاة قبل أن يصلوا الضفة الشرقية لقناة السويس، ثم جاءت الحرب العالمية فغيَّرت المفاهيم العسكرية؛ ذلك أن تركيا هاجمت مصر من جهة العريش بجيش كبير، كما أن كلاً من فرنسا وروسيا طالب بالحماية على فلسطين، مما دفع بريطانيا للتعجيل بإصدار وعد بلفور، لتحقيق هدفها الاستعماري العسكري، وهو تأمين الدفاع عن مصر وقناة السويس بإبعاد فرنسا عن حدود مصر الشرقية وإنشاء دولة حاجزة تكون ركيزة لبريطانيا في قلب العالم العربي لضرب الحركات التحررية. إذاً لم يكن الوعد عطفاً على أوضاع اليهود بقدر ما كان يمثل مصلحة بريطانيا في الأساس، وما كان اليهود إلا قطعة شطرنج حُركت لإيقاف مخططات الفرنسيين والروس وأطماعهم في المنطقة.

بشأن **الصور** يقدم لنا المؤلف عدداً من الصور المؤكدة على أفكاره، كان أهمها صورة لكتائب اليهود في خدمة الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى، وأخرى لمن يسميهم المطرودين من فلسطين أثناء الحرب، وثالثة لمنزل أهارونسون رئيس شبكة نيلى التجسسية لصالح بريطانيا، وصورة أخيرة لمشهد سيارة نقل جنود، وقد اجتمعت الفتيات حولها ترحب بهم وتشجعهم وتثنى عليهم، الغريب أن المؤلف يقدم هذه الصور وكأنها لأبطال قوميين يفتخر بهم فيعرض صوراً لمنزل جاسوس يبدو أنه تحول لمزار سياحى.

وبشأن **الوثائق** نجد وثيقة خاصة بضربة الجراد التى حلّت بفلسطين عام ١٩١٥م، ووثيقة أخرى عن تحقيق المحقق العثماني حسنى بك مع بن جوريون، ووثيقة ثالثة عبارة عن خطاب من السيدة رفقة شرتوك مُرسل لأخيها موشيه المتطوع في الجيش التركى، والذي خدم به ضابطاً حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، تخبره بنبأ طردها من فلسطين، وجدير بالذكر

أن موشيه عمل وزيراً لخارجية إسرائيل ثم رئيساً لوزرائها، وهناك وثيقة أخرى تحمل أحد أشعار الجنود المتطوعين في الكتائب العبرية لصالح بريطانيا، وهى أغنية أسد أسد، ووثيقة أخيرة تقدم إعلان بلفور

وكثير من الوثائق كالعادة ذُيِّلت بأسئلة كان منها ما ارتبط بواقعة طرد رفقة مثل:

- ما هو انطباعك الشخصى عن طرد المواطنين من منازلهم وأماكنهم في أعين رفقة؟
- وضّح الصراع الذي عاناه اليهود في فلسطين أثناء الحرب العالمية ممثلاً في رفقه التى خدم أخوها في الجيش العثماني؟ يبدو أن المؤلف الذي ردد كثيراً أمر خدمة الجيش الانجليزي بكتائب عبرية وشبكات تجسس، نسى المؤلف تلك النماذج التى خدمت الجيش التركى.

وفي وثيقة إعلان بلفور كانت الأسئلة:

- **ما هى التطمينات التى أعطتها بريطانيا للصهاينة؟**
- **توجد بالإعلان رموز للصعوبات التى تجلت مع ظهور البيت القومى، وضح هذه الصعوبات؟**

وعن الهوامش جاء من أهمها هامش لكل من زئيف جابتونسكى، ويوسف ترومبلدور مثنِّياً على جهودهما.

# نتائج البحث

**بعد دراسة هذا المقرر توصل الباحث للنتائج التالية :**

**أولاً : الشكل :**

١- جاء المقرر تحت عنوان " מסע אל העבר، עולם מודרני נולד، המאה ה -19، على פי תוכנית הלימודים החדשה בהיסטוריה לבית הספר הממלכתי، رحلة إلى الماضى ميلاد عالم حديث، القرن ١٩م ، وفقاً لمنهج التاريخ الجديد للمدارس الحكومية، היסטוריה לכיתה ח' בבית הספר הממלכתי، באישור משרד החינוך، המרכז לטכנולוגיה חינוכית، תל אביב 2003 ، التاريخ للصف الثامن للطلاب في المدارس الحكومية، بموافقة وزارة التعليم، مركز تكنولوجيا التعليم، تل أبيب عام ٢٠٠٣، للمؤلفة קציעה אביאלי-טביביאן كاتسيعه ابيالى طبيبيان. وطاقم من المستشارين العلميين تكون من أساتذة للتاريخ بجامعات إسرائيلية كبرى، مما يؤكد أهمية المقرر وجمهور المتلقين.

٢- يقع الكتاب في ثلاثمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير مقاس٢٦.٥ سمX21 سم، وينقسم الكتاب لخمس وحدات تضم كل وحدة ثلاثة فصول عدا الوحدة الأخيرة؛ فهى تضم فصلين اثنين فقط، هذا إضافة الى موضوع يطرحه المؤلف في كل وحدة تحت عنوان **"استراحة المؤرخ" (סדנת ההיסטוריון)**، يطرح فيه موضوع مرتبط برؤية خاصة به وبالوحدة، تنوع بين الأدب والصحافة والرسوم الهزلية.

٣- يعتمد مؤلف المقرر بشكل أساسى على الصور والرسومات والخرائط والوثائق وهوامش التوضيح. ورد بالمقرر عدد ٢٨١ صورة ( تراوحت بين الصور، والرسوم الهزلية ، والرسوم البيانية )، وعدد ٢٢ خريطة، وعدد ٨٥ وثيقة، وعدد ٩٨ هامش جانبى يأتي عادة في قطاع طولي في يسار الصفحة. ومن اللافت أننا لاحظنا حين دراسة هذا المقرر أنه لم تكد تخلو صفحة واحدة من صفحات المقرر من أى من هذه الصور الجاذبة للصبية، كذلك من اللافت استخدام القائمين على المقرر الألوان الجذّابة بشكل كبير، بما يمكن تفسيره على خلفية جمهور المتلقين. كذلك ينتهي كل فصل وهو ما يمكن أن نسميه في مقرراتنا الدراسية بـ

**"تذكر أن"** (מבט חוזר)، يأتي في شكل نقاط للتذكر واسترجاع المعلومات والتأكيد عليها، وتأتى أحياناً في صورة أسئلة ذات الإجابات القصيرة؛ ليؤكد في نقاط مركزة على الأفكار التى يود غرسها في قلب وعقل الصبية، كما تنتهى بعض الفصول بـ (כדאי לדעת) "من المهم أن تعرف"، وهى تتناول موضوعاً ذا صلة بالفترة التاريخية، ولكن لبعده عن الموضوع الرئيس للفصل في معظم الأحيان، ولأهميته الضئيلة في دراستنا؛ آثرنا تنحيته جانباً، كذلك تتعدد الأسئلة سواء بعد كل موضوع أو بعد كل فصل بهدف التذكر والمراجعة أيضاً.

**ثانياً: المضمون:**

١ – **المادة العلمية طبقاً للأفكار المطروحة:** اهتم المؤلف بعرض ما أراد من أحداث وبث ما أراد من أخبار ووقائع دونما النظر لمصداقية البحث أو موضوعيته، فكان في أغلب أنحاء البحث يروج لأفكار صهيونية على حساب الحقيقة والوقائع التاريخية، ومثال ذلك ما أورده بشأن التأكيد على الضائقة التى تعرضت لها الجماعات اليهودية في أوروبا في القرن التاسع عشر رغم ما عُرف عن أوضاعهم من انتشار مبادئ الإخاء والمساواة وحقوق المواطنة وإعلان حقوق الإنسان التى لم تفرق بين يهودي ومسيحى في أوربا، وكذلك نتائج الثورة الفرنسية الايجابية على أوضاعهم، كما أنه في عرضه تجاهل دور المتنورين ودعواتهم للتحرر واهتم بإبراز الاضطهاد ومعاداة السامية. كذلك حين تناول الحركة الصهيونية، قدمها على أساس أنها قامت لتحرير اليهود نتيجة ما لاقوه من آلام ومعاناة من المجتمعات الأوربية، وحينما تناول هذه المعاناة تناولها بما يصح ــ من وجهة نظره ــ أن يقدمه للصبية اليهود؛ فقدم الجلاد في صورة الضحية، وأغفل أدوار اليهود المشينة في أوروبا وكذلك دورهم المشين في فتح الطريق لاحتلال الغرب للشرق، وانزوائهم، وتعاملاتهم المالية، وخيانتهم لمجتمعاتهم، ونهجهم في الاغتيالات والمؤامرات، كما أنه أغفل كذلك الأصوات الكثيرة المعارضة للفكر الصهيوني. كما أغفل الحديث عن علاقة اليهود بفلسطين عبر العصور، وأنها كانت دائماً أبداً مفتوحة لكنهم دائماً أبداً لم يفكروا فيها بل كان تفكيرهم دائماً أبداً في منافعهم الاقتصادية، كما أنها لم تكن ملكية خاصة في الفترة التي عاشوا فيها في فلسطين، بل على العكس كانوا

وباعتراف العهد القديم أغراباً في هذه الأرض، كذلك أغفل نظرة بريطانيا للأفكار الصهيونية ورفضها منحهم ملكية فلسطين، وكذلك ألمانيا ورفضها مساندة الحلم الصهيوني، ورفض السلطان العثماني القاطع لأطماع اليهود مهما كانت التضحيات، كذلك اغفل أن الكثافة الكبرى لليهود كانت في روسيا، وأن هجرات هذه الأعداد توجهت في الأساس لغرب أوروبا والأمريكتين، كما أغفل الحديث عن أصول هؤلاء اليهود الذين مثّلوا الأغلبية العظمى في أوربا. كذلك يؤكد المؤلف ـ بما يخالف الحقيقة والقوانين والنظم السياسية ـ على مصطلح الشعب اليهودي!، كما تناسى أن القلة التى هاجرت لفلسطين ارتد كثير منهم فيما عُرف بظاهرة التساقط "נשירה"، كما يؤكد خلسة على رؤيته للعربى وهو ما يحاول زرعه في عقول الصبية، فيورد أن منظمات مثل بر جيورا "בר גיורא"، وشومير "השומר" ظهرت في المقام الأول لصد هجمات العرب القتلة اللصوص، وأخيراً يؤكد المؤلف على أن التجسس ــ فيما قدمه للصبية من جماعة نيلى التجسسية داخل الدولة العثمانية لصالح بريطانيا ــ أمر يدعو للفخر والفخار.

٢- **الصور، الرسوم، الأشكال البيانية، والخرائط:** قدّم المؤلف عدداً من الصور والرسوم جاء بعضها معبراً عن اضطهاد اليهود، رغم حرصهم على الاندماج؛ فلم يقدم صورة واحدة تؤكد حياة الاندماج أو التسامح الأوربي تجاه اليهود مع انتشار قوانين الاندماج والحريات، كما لم يهتم بتقديم صور لطباع اليهود في أوروبا أو المنحى الذي اتخذه اليهود في حياتهم كممثلين للرأسمالية المستفزة المستغلة للمواطنين، واكتفى بعرض صور ليهود بائسين بعضهم يعمل في بيع الخبز. كما قدّم المؤلف صوراً أخرى قدمها المؤلف لتأكيد الاضطهاد منها صورة لغلاف كتاب البروتوكولات في ترجماته المختلفة، وتأتى النسخة البولندية بغلاف يمثل شخصاً يهودياً في هيئة قبيحة يجلس فوق عدد كبير من الجماجم البشرية، تعلو رأسه نجمة داود. ويقدم المؤلف كذلك عدداً من الصور تدعم الفكر الصهيوني، كان أهمها صورة لعلم اقترحه هرتسل يقتسمه اللونان الأزرق والأبيض وفي المنتصف نجمة داود، وصورة أخرى لنجمة داود كرمز للمؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في عام ١٨٩٧م، ويبدو أن المؤلف

يقدم هذه الصور مثنياً على هرتسل وجهوده ومعاناته للصبية، مبرزاً هذا الرجل للصبية بأنه الذي أنقذ الأجداد من القهر والظلم والعذاب، ويؤكد المؤلف ذلك بتقديمه صورة لجنازة رسمية وشعبية لهرتسل بما يعنى التأكيد على أفكاره عن هذا الرجل، أخيراً يقدم المؤلف صورة لكتائب اليهود في خدمة الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى، وأخرى لمن يسميهم المطرودين من فلسطين أثناء الحرب، وثالثة لمنزل أهارونسون رئيس شبكة نيلى التجسسية لصالح بريطانيا وكأنه أمر يدعو للفخار.

٣- **الوثائق:** يقدم المؤلف العديد والعديد من الوثائق المتعلقة بموضوعات مقرره؛ وذلك لما تعكسه الوثيقة من مصداقية وإضفاء روح الثقة في وقوع الحدث، وبناءً عليه يجب أن يدرك الصبية بهذا الشكل كم تعرض أجدادهم لاضطهاد شديد، ويقدم لنا المؤلف عدد من الوثائق جاءت تتسق مع الأفكار التى قدمها المؤلف في ثنايا مؤلفه، كان منها تلك الوثيقة الخاصة بتحول **افراهام مندلسون** للمسيحية هو وزوجه وأبنائه الأربعة، ووثيقة أخرى تلزم أبناء الطائفة اليهودية ــ طبقاً لحق المواطنة ــ بالالتحاق بالجيش، وثيقة ثالثة تقدم جزء من قصيدة يهودا ليف جوردون استيقظ يا شعبى، تدعو اليهود للاندماج، وهى نموذج واضح لتحول مثقفى اليهود نحو الاندماج، هذه هى نوعية الوثائق التى يقدمها المؤلف متناسياً أن يقدم وثائق لمن رفضوا الاندماج من اليهود وعارضوه، ومتناسياً كذلك أن هذا الاندماج دفع كثيرين للتنصر والابتعاد عن العقيدة اليهودية، ولم يكن كل اليهود في صفوف المندمجين، ومن ثم حاول المؤلف التأكيد على أن اليهود اضطهدوا رغم أنهم رحّبوا بالاندماج، ويعرض المؤلف كذلك عدداً من الوثائق أتت في مجملها تتحدث عن معاداة السامية والاضطهاد كسبب رئيس ومباشر في تصاعد الدعوى الصهيونية؛ فقدم رؤية أدولف اشتيكر ــ مؤسس الحزب الألماني المسيحى ــ لليهود كدولة داخل الدولة، وأخرى تصور جزءً من خطاب دريفوس لزوجته لوسى يروى لها عن يوم طرده من الخدمة في الخامس من يناير ١٨٩٥م، ووثيقة ثالثة لإميل زولا تحت عنوان **"أنا أتهم"**، والتى يتهم فيها قادة بالجيش الفرنسى بالضلوع في قضية دريفوس، وهناك عدد آخر من الوثائق المتعلقة بمذابح روسيا، وأقوال

مأثورة لمن عُرفوا بمبشري الصهيونية، كما قدم لنا المؤلف **وثائق** تتعلق بالهجرة لفلسطين كان منها وثيقة خاصة بتحقيق المحقق العثماني حسنى بك مع بن جوريون، وأخرى من السيدة رفقة شرتوك لأخيها موشيه المتطوع في الجيش التركى، والذي خدم به ضابطاً حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، تخبره بنبأ طردها من فلسطين.

٤- **الأسئلة:** جاءت الأسئلة إما في نهاية موضوع أو وثيقة أو نهاية الفصل، ومن ذلك يطرح المؤلف عدداً من الأسئلة جاءت تخدم أهدافه في التأكيد على اضطهاد اليهود وأهمية الصهيونية والسعى لقيام الدولة، كان أهمها:

- كيف حوّل الاندماج المجتمع اليهودي لمجتمع علماني؟ لماذا كانت العبرية مشكلة الهوية القومية؟
- ما هى القيود الجديدة للعالم الحديث والتى دعمتها معاداة السامية؟
- وضح كيف وسّعت الديمقراطية من معاداة السامية؟
- وضح كيف استغلت معاداة السامية الديمقراطية لتحقيق أهدافها؟
- أتظن أن مناقشة مشروع أوغندا من دروب ديمقراطية الحركة الصهيونية؟ وضح مميزات الاستيطان القديم؟
- ما هى العوامل التى ساعدت على تسريع الهجرة الأولى لفلسطين، وماذا جذبهم لها؟
- يعتبر وعد بلفور بداية الخلاص أو المعجزة ـ لماذا؟

كانت هذه نوعية الأسئلة التى يطرحها المؤلف على مدار مؤلفه، حيث جاءت بشكل يؤكد على الاضطهاد، ويمجد الجهود الصهيونية، ويُعلى من قيمة الدولة اليهودية وجهود منظري الصهيونية.

٥- **الهوامش:** جاءت الهوامش في خدمة الموضوعات التى طرحها المؤلف وأكدها عبر هذه الهوامش، وكان من أهمها هامش لتعريف الشعار **"הפ הפ מוות ליהודים"** ويوضح المؤلف في الهامش أن البعض يرون أن **"هب هب"** هي اختصار لـ **Hierosalyema est**

**perdita** والتى تعنى **ירושליים אבודה** أي القدس ضاعت، دون أن يوضح كعادته مبرر ذلك، أو مدى علاقة الألمان بالقدس أو معرفتهم بها، وما أسباب إثارتها في هذا التوقيت. يقدم لنا المؤلف عدداً آخر من الهوامش أبرزها هوامش عن عواصف النقب، ورموز الصهيونية أمثال موشيه هس، ويهودا القلعى، وتسيفى هيرش كاليشر، وماكس نورداو، وحاييم وايزمان، متناسيا كالعادة الأصوات المعادية للصهيونية. وجاء **بهوامش** أخرى كان من أهمها هامش لكل من زئيف جابتونسكى، يوسف ترومبلدور، وأهارون أهارونسون، وكأنها جاءت باعتبارها نماذج مشرفة!

٦- **الاستراحة:** جاءت "استراحة المؤرخ" لتضع اللمسات الأخيرة لأفكار المؤلف وتؤكدها، فجاءت تتوافق تماماً مع أفكاره التى يبثها في عقول وقلوب الصبية. ومن ثم جاء بعضها تحت عناوين تخدم أهدافه؛ حيث جاء منها: الرسوم الهزلية في خدمة السياسة، سائحون في الأرض المقدسة، رحلة في أعقاب هرتسل لفلسطين ١٨٩٨م، نغنى لك يا وطن. هكذا جاءت حتى في عناوينها تؤكد على الاضطهاد في أوربا، عمق العلاقة مع أرض الأجداد، والارتباط بفلسطين باعتبارها الوطن القومى لليهود.

أخيراً، يؤكد الباحث أن منهج التاريخ المقدم للصبية في المدارس هو بمثابة بذر بذور الشر والعداء تجاه العرب، وينطوي على مغالطات منهجية وتاريخية فادحة، إن المقرر يزرع بقلوب وعقول الصبية روح الحقد على المجتمع الدولي الذي شرده وآذاه في الداخل والخارج، ويدفع للتمسك بروح التعصب الأعمى، عبر أفكار الصهيونية التى ادعت عبر موقف فردى أو شخصى الاضطهاد العام لكافة اليهود، وأن المقرر المقدم لأطفال في عمر الزهور تناسى عبر صفحاته أنه عمل علمى مؤسسى ينبغى النأي به عن المغالطات المُتعمَّدة بهدف خدمة أغراض خاصة، إن مثل هذه المناهج تعتبر بحق أعمالاً ضد الإنسانية تشجع على العنف وتحض على بث روح العداء بما تبثه من مغالطات وافتراءات تزيد من روح الحقد والتعصب والكراهية.

***

# المصادر والمراجع

**أولاً: باللغة العبرية:**

1- טביביאן (קציעה אביאלי)، מסע אל העבר، עולם מודרני נולד ، המאה ה – 19، על פי תוכנית הלימודים החדשה בהיסטוריה לבית הספר הממלכתי، היסטוריה לכיתה ח' בבית הספר הממלכתי באישור משרד החינוך המרכז לטכנולוגיה חינוכי،תל אביב 2003.

**ثانياً: باللغة العربية:**

١. **حسن (محمد خليفة)**، الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى، دار المعارف، ط١، القاهرة ١٩٨١م.

٢. **الخولى (حسن صبرى)**، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين، مج١، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣م.

٣. **سليم (محمد عبد الرءوف)**، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٨٩٧ – ١٩١٨م)، القسم الأول، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٤م.

٤. .....: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٩١٤ ـ ١٩١٨م)، رسالة ماجستير، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة ١٩٧٠.

٥. **صالح (محسن محمد)**، فلسطين ـ دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، سلسلة دراسات فلسطينية، ط١، القاهرة ٢٠٠٣م، .

٦. **ظاظا (حسن)، وآخرون**، الصهيونية العالمية وإسرائيل، القاهرة ١٩٧١.

٧. **فتح الباب (ربيع أنور)**، النظم السياسية ـ السلطة، الدولة، الحكومة صورها وأساليبها، القاهرة ٢٠١١م.

٨. **القثامى (هند بنت دخيل الله بن وصل)**، اثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، ماجستير، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠م.

٩. **الكاتب (عبد الحميد)**، القدس، الفتح الإسلامى، الغزو الصليبى، الهجمة الصهيونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٨م.

١١- **المسيري (عبد الوهاب)**، البروتوكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط ٣، القاهرة ٢٠٠٣م.

١٢- .....، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيرى جديد، مج٤، ٧مج، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٩م.

١٣- .....،.....، الموسوعة الموجزة، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣.

١٤- **النتشة (رفيق شاكر)**، عبد الحميد الثاني وفلسطين، السلطان الذي خسر عرشه من اجل فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ١٩٩١م.

**ثالثاً: مواقع الكترونية متاحة حتى ٦/ ١١/ ٢٠١٢:**

- http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-13950-MTM5NTBfMzY2NTM3_NjZfMTQ4Njg3MjAw-FreeYaan,00.html

- http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-13259-MTMyNTlfMjg2OTcx_NjZfMTQ4Njg3MjAw-FreeYaan,00.html

- http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-22604-PreYaan,00.html

- http://he.wikipedia.org/wiki/יהודה_לייב_גורדון

***